اجاثا كريستي



رصاصة في الرأس

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

رصاصة في الرأس

Murder at the Vicarage

لقد كان مقتل العقيد «بورتيرو» صدمة كبيرة للجميع في «سانت ماري ميد»، على الرغم من أنها كانت من أسعد لحظاتهم، فالقس الذي أعلن من قبل أن قتل هذا العقيد البغيض هو خدمة جليلة للعالم أصبح هو وزوجته الصغيرة الجميلة من المشتبه فيهم بقتله. لكن ماذا عن زوجته الخائنة أو عشيقها الرسام الصغير السن «لورنس ريدنج»؟

ندعوك - عزيزي القارئ - إلى مشاركة الكاتبة اللامعة «ماربل» في حل أصعب الألغاز تعقيدًا.

ثمن الكتاب

لبنان ـــــ 5000 ل.ل.	قطر ـــــ 10 ريالات
سوريا ـــــ 100 ل.س.	عُمان ـــــ 1.5 ريال
الأردن ـــــ 1.5 دينار	مصر ـــــ 10 جنيهات
السعودية ـــــ 10 ريالات	المغرب ـــــ 30 درهما
الكويت ـــــ 1 دينار	ليبيا ـــــ 5 دنانير
الإمارات ـــــ 10 دراهم	تونس ـــــ 4 دنانير
البحرين ـــــ 1.5 دينار	اليمن ـــــ 400 ريال

ISBN 9953381712
9789953381718

رصاصة في الرأس

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

رصاصة في الرأس

(44)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

The Murder at the Vicarage

(1930)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

حديث المائدة

ليس من السهل تحديد الوقت الذي بدأت فيه أحداث هذه القصة ، ولكنني اخترت للبداية ظهر أحد أيام الأربعاء . حين كنا نتناول طعام الغداء في بيتي..

وقد شمل حديثنا حول المائدة موضوعات عديدة .. وتضمن إشارة أو إشارتين لهما صلة وثيقة بالأحداث التي وقعت فيما بعد .

كنت قد فرغت من قطع شريحة من اللحم ، حين عبر بذهني خاطر لا يليق برجل يرتدي مسوح القساوسة ويعمل مثلي في خدمة الكنيسة، فقلت إن الشخص الذي يقتل العقيد "**بورتيرو**" يؤدي للإنسانية خدمة عظيمة .

وعندئذ هتف "**دنيس**" ، ابن أخي ، وهو شاب في السادسة عشرة من عمره:

– هذا كلام خطير يا عماه . . ويمكن أن يؤخذ عليك إذا وجد العقيد يوما غريقا في بحيرة من الدماء .

وها هي "**ماري**" تستطيع أن تشهد بأنك كنت تلوح بالسكين في يدك وأنت تقول هذا الكلام . . أليس كذلك يا "**ماري**" . . ؟

ولكن "**ماري**" لم تجب وراحت توزع علينا الخضراوات في صمت ، فقالت زوجتي :

– أتراه أقدم على عمل جديد من أعماله المزعجة .؟

فلم أجبها على الفور ، إذ قدمت إلي "**ماري**" في تلك اللحظة فطيرة لا تحرك الشهية، فقلت لها :

– كلا . . شكرا لك .

فوضعت "**ماري**" الفطائر على طرف المائدة في خشونة وانصرفت ، فقالت زوجتي وفي صوتها نبرة حزم :

– مما يؤسف له أنني لست ربة بيت ماهرة .

وكان ذلك أيضًا هو رأيي فيها .

كانت تدعى "**جريزلدا**" ، وهو اسم مناسب لزوجة قس ، ولكنها كانت فيما عدا ذلك مجردة من أية صفة أخرى تلائم مركزنا وحياتنا الاجتماعية .

كان رأيي دائما أن القس لاينبغي أن يتزوج ، ولست أدري حتى الآن ماذا حملني على ان أتوسل إلى "**جريزلدا**" أن تقترن بي ولم تنقضِ أربع وعشرون ساعة على أول لقاء بيننا .

إن الزواج أمر خطير و يجب ألا يقدم عليه الإنسان إلا بعد تفكير طويل ، وبعد أن يتحقق من تشابه الميول والأمزجة .

وكانت "**جريزلدا**" أصغر مني بعشرين عامًا ، وعلى جانب كبير من الجمال، ولكنها لا تستطيع أن تنظر إلى أمر نظرة جدية ، وقد حاولت أن أقوِّمها وأرشدها ولكني فشلت .

قلت لها :

– ليتك فقط تستطيعين الاهتمام بشؤون البيت ولو قليلا .

– إنني حاولت فكان اهتمامي يؤدي دائما إلى نتيجة عكسية . والواقع أنني لاأصلح ربة بيت؛ ولذلك قررت أن أدع "**ماري**" تفعل ما تشاء . وأن أرضى بما تقدمه لي من طعام .

– وزوجك المسكين . . ؟

– إنك أحسن حظا من سواك ، فهناك من رجال الدين والمبشرين من أُحرق حيًّا أو أكلته الأسود . . إن الطعام الرديء والغبار والتراب كلها أشياء تافهة لا ينبغي أن تثير سخطك . .والآن حدثني ، ماذا فعل بك العقيد "**بورتيرو**" . .؟

فقال "**دنيس**" :

– إنه حيوان عجوز ، ولا عجب إذا كانت زوجته الأولى قد هجرته .

فقالت زوجتي :

– لا أعتقد أنه كان بوسعها أن تفعل غير ذلك .

ثم نظرت إلي وقالت :

– ماذا حدث بينك وبين العقيد "**بورتيرو**" أيها العزيز . . ؟ هل شجر بينكما

خلاف جديد بسبب السيد "**هاوس**" الذي لايكف عن انتقاد كل ما يقع تحت بصره ؟

وكان "**هاوس**" هو الشماس الجديد الذي نُقل إلى كنيستنا منذ ثلاثة أسابيع ، وكان شديد الحرص على بعض التقاليد الكنسية القديمة التي لايقرها العقيد .

أجبت :

– كلا . .ولكنه أدلى بتلميحات لم ترق لي في معرض الحديث عن موضوع السيدة "**برايس ريدلي**" .

وكانت السيدة "**برايس ريدلي**" قد تبرعت للكنيسة بعشرين شلنا عقب القداس الذي أقيم لمناسبة مرور عام على وفاة ابنها ، ولكنها دهشت عندما أعلنت قوائم التبرعات ووجدت أن أكبر مبلغ سجل في القائمة هو عشرة شلنات . وقد شكت إليّ فحاولت إقناعها بأنها ربما أخطأت في ورقة النقد التي قدمتها . وقلت لها لأنهي الموضوع بلباقة :

– لقد تقدمت بنا السن يا سيدة "**ريدلي**" ، والخطأ والنسيان هما ضريبة الشيخوخة .

ومن عجب أن هذه العبارة أثارتها بدلا من أن تهدئها ، فقالت إن الأمر يبعث على الريبة ، إن ما يدهشها هو أنني لم أقف في صفها ، ويبدو أنها روت الموضوع للعقيد "**بورتيرو**" . .وهو رجل يجد لذة خاصة في إثارة الفضائح.

قالت زوجتي في محاولة لتخليص الموقف دون تحيز :

– لاعجب في ذلك . . فهو لايجد من يلتف حوله ويناديه (أيها القس العزيز) . .ولا من يصنع جوارب من صوف يهديها إليه في أعياد الميلاد . . وقد ضاقت به زوجته وابنته ، فمن الطبيعي إذن أن يجد متعة في الإحساس بانه مهم في ناحية ما !

– ذلك لا يبرر إساءة الظن بالآخرين . . ولكني أرجح أنه لم يكن يدرك خطورة كلامه ، فقد طالب بمراجعة حسابات الكنيسة بدعوى أنه يمكن أن يكون هناك اختلاس . .نعم ، إنه استخدم كلمة (اختلاس) ، فترى هل يظن أنني أختلس

أموال الكنيسة ..؟

– لا أحد يظن ذلك أيها العزيز ، إنك فوق الشبهات إلى الحد الذي تستطيع معه أن تفعل كل ما تريد .

– إن "**بورتيرو**" سيحضر إلى هنا غدا مساء ، لكي نراجع الحساب معا ، أما الآن فيجب أن أتفرغ لإعداد موعظة المساء .. فماذا ستفعلين أنت يا "**جريزلدا**" ..؟

– سأؤدي واجبي كزوجة قس ..سأعد الشاي والحلوى وأنتظر المدعوين .

– من دعوت لتناول الشاي ؟

فراحت تحصي على أصابع يدها : السيدة "**برايس ريدلي**" ، والآنسة "**ويذرباي**" ، والآنسة "**هارتنل**" ، والآنسة "**ماربل**" الرهيبة ..

فقلت :

– إن الآنسة "**ماربل**" هي أفضلهن جميعا . .إنها على الأقل تقدر روح الدعابة.

– إن لها أسوأ لسان في القرية ، فهي تعرف كل ما يحدث وتستخلص منه أسوأ النتائج .

كانت "**جريزلدا**" أصغر مني سنا كما قلت ، والأسوأ في نظرها ، كان في نظر رجل في مثل سني هو الأصدق والأفضل غالبا .

قال "**دنيس**" محدثا "**جريزلدا**" :

– على كل حال يجب أن تسقطيني من حسابك في حفلة الشاي فإنني مدعوٌّ للعب التنس مع ابنة "**بورتيرو**" .

قال ذلك ونهض واستأذن في الانصراف .

وانتقلت مع زوجتي إلى قاعة المكتب وهناك قالت :

– إنني أتوقع كذلك أن يأتي الدكتور "**ستون**" والآنسة "**كرام**" ، وربما جاءت السيدة "**لترانج**" أيضا .. وبهذه المناسبة لقد ذهبت أمس لزيارة السيدة "**لتراتج**" ولم أجدها في بيتها ، وإني لأعجب لماذا اختارت هذه القرية للإقامة بها في بيت لا تغادره إلا نادرا .. إنها تذكرني ببطلات القصص البوليسية اللائي يتساءل الناس عنهن قائلين :

"من هذه المرأة الغامضة ذات الوجه الشاحب الفاتن ..؟ ما ماضيها ..؟ لا أحد يعلم .. ولكن ما من شك في أن جواً من الريبة يحيط بها" .

وصمتت "**جريزلدا**" قليلا ثم قالت :

– على أنني أعتقد أن الدكتور "**هايدوك**" يعرف الكثير عن هذه المرأة .

– إنك تسرفين في قراءة القصص البوليسية يا "**جريزلدا**" .

– وأنت .. ؟ إنني بحثت منذ بضعة أيام عن قصة (بقعة على السلم) وكنت أنت في مكتبك تعد موعظة اليوم التالي ، فذهبت إليك لأسألك عما إذا كنت قد رأيت القصة .. وماذا وجدت .. ؟

فأجبت في خجل :

– إنني عثرت عليها مصادفة .. ولفت نظري عبارة فيها .

فقالت ضاحكة :

– إنني أعرف هذه المصادفات، كما أعرف العبارات التي تجذب النظر في القصص البوليسية ..

ثم استطردت قائلة بلهجة تمثيلية :

– .. ومن ثم حدث أمر غريب ، إذ نهضت "**جريزلدا**" من مقعدها واجتازت الغرفة وقبلت زوجها العجوز .

قالت ذلك وقرنت القول بالفعل .

سألتها :

– وما وجه الغرابة في ذلك .. ؟

فأجابت :

– وجه الغرابة يا "**ليونارد**" أنه كان في استطاعتي كما تعلم أن أتزوج وزيرا أو لوردا ، أو رجلا ثريا من أصحاب الشركات ، ولكنني فضلتك على أولئك جميعا. .ألم يدهشك ذلك .. ؟

– الواقع أنه أدهشني ، وكثيرا ما تساءلت لماذا فعلت ذلك ؟

فضحكت وأجابت :

– فعلت ذلك لأنني كنت أشعر بأنني ذات قوة وسلطان .. كان الآخرون يرونني امرأة غير عادية يطيب لهم الاقتران بها ، أما أنت فإنني كنت في نظرك أمثل كل ما تضيق به وتنفر منه، ولكنك مع ذلك أحببتني وشعرت بأنك لا تطيق الحياة بدوني.. فدفعني الغرور إلى مواجهة التحدي ، وقلت لنفسي إنه لأفضل لي أن أكون بالنسبة إلى زوجي نقطة ضعفه ومحور متعته من أن أكون أحد مظاهر خيلائه وصلفه ... إنني أضايقك كثيرا ، وأثير أعصابك في بعض الأحيان ، ولكنك على الرغم من ذلك تهيم بي حبا .. أليس كذلك أيها العزيز .. ؟

– الواقع أنني أحبك كثيرا ..

– بل أنت تقدرني ... هل تذكر يوم ذهبت إلى "**لندن**" ، وقررت أن أقضي الليلة عند إحدى صديقاتي ، وأبرقت إليك بذلك . ولكن البرقية لم تصلك؛ لأن موظفة مكتب البريد ذهبت إلى المستشفى لعيادة أختها التي وضعت توءمين. هل تذكر كيف كان حالك في تلك الليلة .. ؟ لقد جن جنونك، واتصلت تليفونيا بـ"**اسكتلانديارد**" وطلبت إليهم البحث عني .. وأقمت الدنيا وأقعدتها .. إن هناك أحداثا يكره الإنسان أن يذكِّره بها أحد ، وقد كانت تصرفاتي في هذا الحادث الذي ذكرته "**جريزلدا**" تدعو إلى الرثاء حقًّا .

قلت لها :

– معذرة يا "**جريزلدا**" ، ولكني أود إتمام موعظة المساء .

فهتفت قائلة :

– الحق أنك لا تقدرني كما ينبغي ، فكن على حذر، وإلا قمت بمغامرة مع ذلك الفنان ... وأثرت فضيحة مدوية يتردد صداها في أنحاء القرية .

– أظن أن لدى القرية من الفضائح ما يكفيها .

فانفجرت ضاحكة ، وأرسلت إليَّ قبلة في الهواء ، وانطلقت إلى الخارج .

*****

- 2 -

حول أقداح الشاي

ماكدت أبدأ في إعداد موعظتي حتى دخلت "**ليتيسيا بورتيرو**" كالرياح .

وأقول كالرياح؛ لأن ذلك أصدق وصف للمراهقين ذوي الشباب المتوثب والحيوية الدافقة كما تصورهم القصص التي أقرؤها عنهم .

كانت "**ليتيسيا**" فتاة طويلة القامة، شقراء ، وعلى جانب كبير من الجمال . .

دخلت كالريح من باب الحديقة، وخلعت قبعتها، وهتفت في شيء من الدهشة:

– أهذا أنت . . ؟!

*****

كان هناك ممر وسط الغابة يصل بين قصر العقيد "**بورتيرو**" المعروف باسم "القصر القديم" وبين حديقتنا . . . بل يمتد إلى نافذة غرفة المكتب ، فيوفر على السائر عناء القيام بحركة التفاف كبيرة للوصول إلى باب بيتنا . ولم يدهشني أن تجيء "**ليتيسيا**" عن طريق هذا الممر ، إنما أدهشني أنها بهتت حين أبصرت بي ، فقلت لها :

– عندما تجيئين إلى بيت قس الكنيسة فيجب أن تتوقعي مقابلة القس .

فقالت وهي تتهالك على أحد المقاعد :

– هل "**دنيس**" هنا . . ؟

– إنني لم أره بعد الغداء ، وكنت أظن أنه ذهب ليلعب التنس معك .

– أرجو الا يكون قد ذهب . . فإنه لن يجد أحدا بالبيت .

– ولكنه قال لنا إنك دعوته للعب التنس .

– ربما . . ولكن الدعوة كانت ليوم الجمعة ، واليوم يوم الثلاثاء .

– كلا . . اليوم يوم الأربعاء . .

– يا إلهي . . !! هذه المرة الثالثة التي أتخلف فيها عن تلبية دعوة للغداء عند

بعض الأصدقاء ..

ولم تعر الأمر مزيدا من الاهتمام وسألت :

– هل "**جريزلدا**" هنا .. ؟

– أعتقد أنك ستجدينها مع "**لورنس ريدنج**" في المرسم في ركن الحديقة .

– لقد قامت مشادة حادة بين أبي وبيني بشأن "**لورنس ريدنج**" .. أنت تعرف أبي وتعرف مدى عنفه .

– هل كانت المشادة بسبب امرأة .. ؟

– كلا .. وإنما كانت بسبب صورة رسمها لي "**لورنس**" وتمثلني مرتدية ثوب الحمام .. الثوب الذي أظهر به على شاطئ البحر .

وصمتت قليلا ثم استطردت قائلة :

– لقد حظر عليه أبي دخول بيتنا بسبب هذه الصورة ، وكم ضحكت أنا و"**لورنس**" من هذا العنت .. !! وقد جئت الآن لكي يتم صورتي في مرسمكم ،

– ولكن .. ما دام أبوك يعارض ذلك فإن من واجبي أن أعارضه بدوري .

فتنهدت وقالت :

– يا إلهي ! كم أنتم مزعجون ... إنني تعبت تماما ، ولو كان لدي بعض المال لرحلت ... ولكني لا أستطيع شيئا بدون نقود ... ليت أبي يموت .. !!! فكل شيء سيكون على ما يرام إذا مات .

– كيف تقولين كلاما كهذا يا "**ليتيسيا**" .. ؟

– إذا أراد ألا أتمنى له الموت يجب ألا يكون مقترا إلى هذا الحد .. لم يعد يدهشني أن أمي هجرته ... هل تعلم أنني ظللت طوال سنوات عديدة أعتقد أنها ماتت .. ؟ وبهذه المناسبة .. ماذا كان شكل الشاب الذي هربت معه .. ؟ هل كان وسيما .. ؟

– لقد وقعت هذه الأحداث قبل قدوم أبيك إلى هذه المنطقة .

– إنني أتساءل ماذا كان مصير أمي .. على أنني أعتقد أن "**آن**" زوجة أبي سوف تحذو حذوها قريبا .. إن "**آن**" تمقتني .. صحيح أن سلوكها معي لاغبار عليه

ولكنها تمقتني .. لقد تقدمت بها السن، وذلك ما يضايقها .. وسوف يأتي الوقت الذي تضطر فيه إلى الكف عن التظاهر بالشباب .

وبدأت أتساءل عما إذا كانت "**ليتيسيا**" تعتزم قضاء بقية النهار في مكتبي.

قالت :

– هل رايت أسطواناتي ..؟

– كلا .

– هذا مزعج حقًّا .. إنني تركتها في مكان ما ..وكذلك فقدت كلبي وساعتي..ولكن لا أهمية للساعة؛ فإنها كانت معطلة على كل حال .. يا إلهي !! كم أود أن أنام .. على الرغم من أنني استيقظت في الساعة الحادية عشرة صباحا.. !!! إن الحياة أصبحت متعبة . أليس كذلك ..؟ سأنصرف الآن .. يجب أن أذهب لرؤية حفريات الدكتور "**ستون**" في الساعة الثالثة .

فنظرت إلى ساعة على مكتبي وقلت لها:

– إن الساعة قد قاربت الخامسة.

فصاحت :

– أحقًّا ..؟ هذا مخيف .. ترى هل ينتظرونني، أم أنهم ذهبوا بدوني ؟ . لعل الأفضل أن أتحقق بنفسي .

وانبعثت واقفة وانطلقت إلى الخارج ..

واتجه تفكيري بعد انصرافها إلى الدكتور "**ستون**" عالم الآثار المعروف . الذي قدم منذ فترة وجيزة للبحث عن الآثار في حدائق العقيد "**بورتيرو**" ونزل مع سكرتيرته الآنسة "**كرام**" في فندق "**الخنزير الأزرق**" .

لقد وقعت مشاحنات كثيرة بين الدكتور "**ستون**" والعقيد ، ولذلك أدهشني أن يدعو "**ستون**" "**ليتيسيا**" لمعاينة عمله .

وكنت أعلم أن "**ليتيسيا**" فتاة متعجرفة ، ولم أتمالك عن أن أتساءل ، ترى كيف ستكون العلاقة بينها وبين الآنسة "**كرام**" ..؟ إن الآنسة "**كرام**" فتاة في الخامسة والعشرين ممتلئة نشاطا وحيوية .. وقد تضاربت الأقوال في حقيقة صلتها

بالدكتور "**ستون**" ، فقال البعض إنها "فتاة جادة" ، وقال آخرون : " بل إنها خليلته وستصبح زوجته في وقت قريب" .. ومهما يكن من أمر فإنها كانت و "**ليتيسيا**" على طرفي نقيض من جميع الوجوه ..

أما "**آن**" الزوجة الثانية للعقيد "**بورتيرو**" فكانت امرأة ذات جمال فريد ، ولكن العلاقة بينها وبين "**ليتيسيا**" لم تكن طيبة .

كنت أفكر في كل ذلك عندما أقبل السيد "**هاوس**" ، الشماس الجديد . إذ كان يريد معرفة ما جرى بيني وبين العقيد بالتفصيل .

وبعد انصرافه . لاحظت أن عقربي الساعة يشيران إلى الخامسة إلا الربع.. ولكن الوقت الحقيقي كان الرابعة والنصف؛ لأنني تعودت تقديم عقربي الساعة خمس عشرة دقيقة ..

نهضت عن مكتبي ، وقصدت إلى قاعة الاستقبال ، ووجدت "**جريزلدا**" ومدعواتها حول مائدة الشاي ، فصافحت المدعوات، وجلست بين الآنسة "**ماربل**" والآنسة "**ويذرباي**" .

كانت الآنسة "**ماربل**" سيدة عجوزا، تبدو في ظاهرها لطيفة وديعة .. على عكس الآنسة "**ويذرباي**" التي كانت مزيجا من المرارة والعنف .. على أن السيدة "**ريدلي**" كانت أخطر من الاثنتين ..

قالت "**جريزلدا**" بصوت معسول :

– كنا نتكلم عن الدكتور "**ستون**" والآنسة "**كرام**" .

فقالت الآنسة "**ويذرباي**" بلهجة استنكار :

– إن الفتاة الشريفة لاتفعل ذلك .

وزمت شفتيها ، فسألتها :

– لا تعمل سكرتيرة لرجل أعزب ؟

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– يجب ألا تنسي أيتها الصديقة أن الرجال المتزوجين أسوأ من غيرهم .. ألا تذكرين قصة تلك الفتاة التعسة "**مولي كارتر**" .

– لاشك في أنك تعنين الأزواج المنفصلين عن زوجاتهم ..
– بل أعني كذلك أولئك الذين يعيشون مع زوجاتهم .. وإني لأذكر ..
فقلت مقاطعا ، لكي أغير مجرى هذا الحديث الذي ينم عن فساد الذوق :
– الرأي عندي أن الفتاة في هذا العصر تستطيع أن تشغل أية وظيفة كالرجل تماما .
فقالت السيدة "**ريدلي**" مستنكرة :
– حتى لو اقتضت الوظيفة أن ترافق رجلا أعزب، وأن تقيم معه في الفندق نفسه..؟
فهمست الآنسة "**ويذرباي**" في أذن الآنسة "**ماربل**" قائلة :
– وغرفتاهما في الطابق نفسه .
وتبادلتا نظرة ذات مغزى .
وقالت الآنسة "**هارتنل**" بصوت مرتفع :
– سوف يجد الرجل المسكين نفسه في الفخ دون أن يشعر .. إنه ساذج كالأطفال .
وقلبت شفتها واستطردت قائلة في غير كياسة :
– إنه لأمر يدعو إلى التقزز .. فهو أكبر منها بخمسة وعشرين عامًا على الأقل .
ولكنها لم تمضِ في حديثها إلى أبعد من ذلك .. إذ اختلطت أصوات النساء الثلاث الأخريات في مناقشات مختلفة ، ونظرت الآنسة "**ماربل**" إلى زوجتي في خبث وقالت "**جريزلدا**" :
– ألا تعتقدين أن الآنسة "**كرام**" تعمل من أجل الوظيفة وحدها .. وأنها لاتنظر إلى الدكتور "**ستون**" إلا كرئيس ..؟
وهنا صمتت النساء جميعا ، ويبدو أنهن لم يشاطرن زوجتي هذا الرأي ، وأخيرا قطعت الآنسة "**ماربل**" حبل السكوت فقالت وهي تضع يدها على ساعد زوجتي :
– إنك مازلت في مقتبل العمر يا عزيزتي ، ولك براءة الشباب .
– أتظنين حقًّا أن الآنسة "**كرام**" تسعى للاقتران بهذا الرجل الأصلع المزعج ..؟

– ما أظنه إلا أنه رجل ثري . . . ويُخيَّل إليَّ كذلك أنه على خلق .. هل تعلمين أن مناقشة عنيفة احتدمت بينه وبين العقيد "**بورتيرو**" منذ أيام ..؟

فاشرأبت أعناق النساء لسماع المزيد ، فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– لقد اتهمه العقيد بالغباء ..

وقالت السيدة "**ريدلي**" :

– هذا أمر لا يستغرب من "**بورتيرو**" .

وقالت الآنسة "**ويذرباي**" :

– هل صحيح أنه تشاجر كذلك مع ذلك الفنان الشاب المدعو "**ريدنج**" . . ؟

فأومأت الآنسة **ماربل**" برأسها علامة الإيجاب وقالت :

– لقد طرده العقيد من بيته؛ لأنه رسم صورة لابنته "**ليتيسيا**" برداء البحر .

فحبست النساء أنفاسهن دهشة وفضولا ، وقالت السيدة "**ريدلي**" :

– كنت دائما أرتاب في وجود صلة بين هذا الفنان و "**ليتيسيا**" .. لقد كان دائم التردد على القصر القديم . . . وإنه لمما يؤسف له حقًّا أن أم الفتاة ليست معها.... إن زوجة الأب لايمكن أبدا أن تكون كالأم .

فقالت الآنسة "**هارتنل**" :

– ولكني مع ذلك أعتقد أن "**آن**" تبذل قصارى جهدها لإرضاء ابنة زوجها .

فقالت السيدة "**ريدلي**" :

– هذا صحيح . ولكن الفتيات ماكرات وخبيثات ..

وقالت الآنسة "**ويذرباي**" :

– يا لها من مأساة ..! ! ومع ذلك فإنه يُخيَّل إلي أن الشاب لابأس به، ولاغبار عليه.

فصاحت الآنسة "**هارتنل**" :

– بل إنه شاب منحل، ولايمكن أن يكون غير ذلك ..؟ أليس فنانا ..؟ ألم يذهب إلى "**باريس**" ويستخدم بعض النساء كنماذج للرسم ..!!

فقالت السيدة "**ريدلي**" :

– لم يكن من اللائق على كل حال أن يرسم صورة للفتاة في ثوب بلباس البحر.

فقالت "**جريزلدا**" :

– إنه يرسم أيضا صورة لي .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– ولكن ليس بالمايوه أيتها الصديقة .

فأجابت "**جريزلدا**" في هدوء :

– بل ربما أسوأ .

– يا لك من خبيثة !

وسألتني الآنسة "**ماربل**" :

– هل حدثتك "**ليتيسيا**" العزيزة عن متاعبها ..؟ إنني رأيتها تدخل مكتبك من باب الحديقة .

كانت الآنسة "**ماربل**" ترى كل شيء .. بحجة ولعها بفلاحة البساتين ..وكانت تستخدم منظارا مكبرا ...بدعوى اهتمامها بمراقبة الطيور .

أجبتها ببساطة وإيجاز :

– نعم .

– كذلك خُيِّل إلي أن السيد "**هاوس**" يبدو متعبا .. أرجو ألا يكون العمل قد أرهقه .

وهنا صاحت الآنسة "**ويذرباي**" بانفعال :

– عندي نبأ نسيت أن أذكره لكم . . لقد رأيت الدكتور "**هايدوك**" خارجا من بيت السيدة "**لترانج**" .

فتحولت إليها جميع الأنظار ، وأخيرا قالت السيدة "**ريدلي**" :

– لعلها مريضة .

فقالت الآنسة "**هارتنل**" :

– إذا صح ذلك فلابد أنها مرضت فجأة ؛ لأنني رأيتها تتنزه في حديقتها حوالي الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم ، وكانت تبدو في صحة جيدة .

فقالت السيدة "**ريدلي**" :

– لابد أن بينها وبين الدكتور "**هايدوك**" صداقة قديمة .. ولكنه رجل كتوم لاينطق بكلمة في هذا الصدد .

فقالت "**جريزلدا**" بصوت خافت ، وبلهجة غامضة جعلت الأخريات ينحنين إلى الأمام ويرهفن آذانهن :

– الواقع أنني أعرف القصة كلها .. لقد كان زوجها مبشرا، والتهمه آكلو لحوم البشر . . . واتخذها زعيم القبيلة زوجة له ، وكان الدكتور "**هايدوك**" في بعثة هناك فأنقذها .

فران على الجميع سكون عميق مقرون بالدهشة إلى أن قالت الآنسة "**ماربل**" لزوجتي مؤنبة :

– أيتها الخبيثة .. ليس من الحكمة أن تروي مثل هذه القصص الخيالية .. فقد يصدقها البعض، فيكون لذلك رد فعل لا تؤمن نتائجه .

فساد الصمت مرة أخرى ، ثم نهضت اثنتان من المدعوات واستأذنتا في الانصراف ، وقالت الآنسة "**ويذرباي**" :

– مازلت أعتقد أن هناك علاقة بين "**لورنس ريدنج**" و"**ليتيسيا**" .. ما رأيك أنت يا آنسة "**ماربل**" ..؟

فأطرقت الآنسة "**ماربل**" برأسها مفكرة ثم أجابت .

– لا أظن ذلك .. إن له علاقة .. ولكن مع شخص آخر غير "**ليتيسيا**" .

– ولكن لابد أن العقيد ظن أن هذه العلاقة مع ابنته ..؟

– لقد كنت دائما أشعر بأن العقيد رجل غبي .. إنه من الرجال الذين يضعون في رؤوسهم فكرة خطأ، ولا يتحولون عنها .. هل تذكرين حادث "**جو باكنيل**" صاحب الفندق الذي ملأ الدنيا ضجيجا حين ظن أن ابنته تغازل "**بايلي**" الشاب .. ثم ظهر أن التي تغازل الشاب هي زوجته..؟

وكانت تتكلم وهي تحملق إلى وجه زوجتي حتى كدت أثور غضبا ..

تُرى هل كانت تلمح إلى وجود علاقة بين "**جريزلدا**" و" **لورنس ريدنج**" ..؟

قلت لها :

– الا ترين يا آنسة "ماربل" أننا أطلقنا العنان لألسنتنا أكثر مما ينبغي ..؟ إن الدين ينهانا عن إساءة الظن بالناس كما تعلمين .. وترديد مثل هذه الشائعات فيه إساءة إلى الآخرين .

فأجابت الآنسة "ماربل" :

– أيها القس العزيز .. إنك في مركز يضعك فوق هذه الأمور الدنيوية .. أما أنا التي أرقب الطبائع البشرية منذ وقت طويل ، فإنني لا أتوقع من الناس خيرا كثيرا .. صحيح أن الثرثرة ليست إحدى الفضائل ، ولكنها كثيرا ما تعبر عن الواقع .. أليس كذلك ..؟

قالت ذلك، ونهضت واقفة، واستأذنت في الانصراف .

- 3 -

"آن " و "لورنس"

ما كاد الباب يغلق وراء المدعوات حتى صاحت "جريزلدا" :

– يالهن من عوانس شريرات ..!

ثم التفتت إلي وانفجرت ضاحكة ، وقالت :

– أحقًا أنك لا ترتاب في أنني أغازل "لورنس ريدنج" ...؟

– بالتأكيد لا أرتاب أيتها العزيزة .

– ومع ذلك فإنك ظننت أن الآنسة "ماربل" كانت تعنيني حين ألمحت إلى وجود علاقة بين "لورنس" وإحدى السيدات .. فتصديت للدفاع عني كالنمر الهائج .

فأحسست بشيء من الضيق؛ إذ ليس من المألوف تشبيه رجل الدين بنمر هائج، ولكن كنت واثقا بأن "جريزلدا" قد بالغت في الوصف .على أنني انتهزت هذه الفرصة لكي أقول لها مؤنبا :

– الا ترين أنه من الواجب عليك أن تكوني أشد حذرا فيما تقولين يا

"جريزلدا" ؟

– أتعني ما ذكرته عن قصة آكلي لحوم البشر ؟ أم تعني ما ذكرته عن صورة متجردة يرسمها لي "لورنس" ..؟ كم أود أن أرى وجوههن حين يعلمن أن الصورة تمثلني في معطف كثيف ذي ياقة عالية ، معطف لا يكشف عن أي جزء من الجسم ويمكن المثول به بين يدي "البابا" نفسه ...!! أضف إلى ذلك أن "لورنس" لم يحاول قط أن يغازلني .. وإني لأتساءل لماذا ؟

– لاشك في أن السبب هو أنك امرأة متزوجة .

– لاتتكلم كمن خرج لتوه من فلك "نوح" يا "ليونارد" ، أنت تعلم أن امرأة شابة وجميلة . .ومتزوجة من رجل ناضج أكبر منها سنا ، هي لقطة ثمينة بالنسبة إلى شاب مثل "لورنس" ...! لابد أن لسلوكه سببا آخر ..لأنني لا أفتقر إلى الجمال والفتنة .. أليس كذلك ..؟

– هل تودين أن يغازلك ..؟

فأجابت بعد تردد أطول مما ينبغي .

– كلا ..

– ثم إنه مولع بـ "ليتيسيا بورتيرو" ..

– إن الآنسة "ماربل" على خطأ .

– إن الآنسة"ماربل" لا تخطئ أبدا .. إنها من طراز العوانس اللائي لايخطئن..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة، وهي تنظر إلي من ركن عينها :

– أنت تصدقني بالتأكيد يا "ليونارد" حين أقول لك: "إنه ليس بيني وبين "لورنس" شيء" ..

– إني أصدقك أيتها العزيزة ..

فأقبلت علي وقبلتني وقالت :

– يسرني أنك لا تسيء الظن بي بسهولة .. يجب أن تصدقني وتثق بي دائما.

– هذا ما سأفعله .. ولكني أرجوك أن تكوني على حذر فيما تقولين ، وأن تذكري دائما أن أولئك النسوة يفتقرن إلى روح الدعابة .. ولا يعرفن المزاح .

– إن ما يفتقرن إليه في حياتهن هو الإثارة .. وهن لذلك يبحثن عنها في حياة الآخرين .

قالت ذلك، وغادرت الغرفة .. فنظرت إلى ساعتي ، ثم غادرت الغرفة بدوري ، فقد كانت هناك زيارات ينبغي أن أقوم بها ..

ولم يشهد قداس المساء كثيرون كالعادة ، وعندما هممت بمغادرة الكنيسة ، وقع بصري على سيدة تنظر باهتمام إلى زجاج النوافذ .. وكان لبعض هذا الزجاج قيمة أثرية عظيمة .

وسمعت السيدة وقع قدمي فنظرت حولها، ووجدت نفسي وجها لوجه أمام السيدة "**لترانج**" .

راح كل منا ينظر إلى الآخر في شيء من التردد ، وأخيرا قلت لها :

– أرجو يا سيدتي أن تكون كنيستنا الصغيرة قد أعجبتك ..

فأجابت :

– إنني شديدة الإعجاب بمبناها .

كان صوتها هادئا خافتا ، ولكنه واضح النبرات .

استطردت قائلة :

– يؤسفني أنني لم أكن بالبيت أمس حين جاءت زوجتك لزيارتي .

وتحدثنا بضع دقائق عن الكنيسة .. وكان واضحا أنها امرأة على جانب كبير من الثقافة .. وأن لها دراية بالفنون الدينية والكنسية .

وبعد قليل ، غادرنا الكنيسة معا ، وسرنا في الطريق نفسه .. فقد كان يمر ببيتها ويصل إلى بيتي .

وعندما انتهينا إلى بابها قالت لي بلطف :

– تفضل بالدخول .. أريد أن أعرف رأيك فيما استحدثته في البيت من تعديلات ..

كان البيت فيما مضى ملكا لضابط بريطاني عمل في "**الهند**" ، وقد أحسست بالارتياح حين لاحظت أن الموائد النحاسية وتماثيل "**بوذا**" قد اختفت من الأركان.

وحلت مكانها قطع من الأثاث البسيط تدل على سلامة الذوق .

كان كل شيء حولي يتسم بالتناسق وينم عن الاستقرار .. ولكني مع ذلك لم أتمالك عن التساؤل عن الأسباب التي حملت امرأة كالسيدة "**لترانج**" على القدوم إلى "**سانت ماري ميد**" والإقامة بها ..

كل الدلائل كانت تدل على أنها سيدة مجتمع .. فلماذا جاءت لتدفن نفسها في هذه القرية الصغيرة ..؟

وأتيحت لي في قاعة الاستقبال الفسيحة المضيئة أول فرصة للنظر إليها عن كثب.

كانت امرأة طويلة القامة، شقراء الشعر ، سوداء الحاجبين والأهداب ، ولها أعجب عينين وقع عليهما بصري .. عينان شبه ذهبيتين .

وكانت أنيقة الثياب في غير تبرج .. تتكلم وتتحرك كامرأة من أرقى طبقات المجتمع .. ويحيط بها جو من الغموض .. أصابت "**جريزلدا**" حين وصفته بأنه مريب .

ودار الحديث بيننا حول أمور عادية .. وتناول الفنون والكتب والكنائس القديمة.. ولكني كنت أشعر طوال الوقت بأن هناك مسائل أخرى تود السيدة "**لترانج**" أن تتحدث فيها .

فقد اتفق مرة أو مرتين أنني فاجأتها وهي تنظر إلي خلسة .. وخُيِّل إلي أنها تتردد ولا تستطيع أن تتخذ قرارا . على أنه كان من الواضح أنها تتجنب الحديث في المسائل الشخصية .. فإنها لم تشر من قريب أو بعيد إلى زوج أو أصدقاء أو أقارب . .ومع ذلك فقد كانت في عينيها نظرة توسل تقول: "هل أستطيع أن أفضي إليك بما لدي ؟ لماذا لاتشجعني على أن أثق بك ..؟"

على أن هذه النظرة ما لبثت أن اختفت ، وخُيِّل إلي في لحظة ما أنها تريدني أن أذهب ، فنهضت واقفا ، واستأذنت في الانصراف، وقبل أن أغادر الغرفة نظرت ورائي .. ووجدت السيدة "**لترانج**" تحدجني بنظرة قلقة غامضة .. فقلت لها:

– هل من خدمة أؤديها لك ..؟

فأجابت على الفور :

– شكرا لك . .

وساد بيننا صمت طويل، وأخيرا قالت :

– هناك أشياء كثيرة أود أن أعرفها . . ولكن لا . . لا أحد يستطيع معاونتي . .شكرا لك على كل حال .

قالت هذه العبارة الأخيرة بلهجة حاسمة . . فلم أجد بدا من الانصراف، وأنا جد حائر مذهول . . ذلك أننا لم نألف الغموض والأسرار في "**سانت ماري ميد**" .

والواقع أنني ما كدت أغادر بيت السيدة "**لترانج**" .... حتى وجدت نفسي وجها لوجه مع الآنسة "**هارتنل**" . .

صاحت وهي تصطنع المرح :

– لقد رأيتك تسير معها، فانتظرت خروجك بفروغ صبر . . حدثني الآن بكل ما تعلمه .

– عن أي شيء . .؟

– عن هذه المرأة الغامضة ، هل هي أرملة . .؟هل لها زوج في مكان ما . .؟

– ليس في استطاعتي حقًّا أن أشبع فضولك؛ لأنها لم تحدثني بشيء في هذا الصدد .

– أحقًّا . . إذن فيم كان حديثكما الطويل . .؟

– تحدثنا عن الفن والموسيقى والأدب . .

وكانت تلك هي الحقيقة ، ولكن الآنسة "**هارتنل**" لم تصدق ولم تقتنع ، وصمتت لحظة لتفكر في سؤال جديد تلقيه علي ، فانتهزت هذه الفرصة ، وودعتها ، وهرولت مبتعدا .

وعدت إلى البيت من أقصر طريق . . وأعني به الطريق الذي يمر أمام حديقة الآنسة "**ماربل**" ، ولكنني كنت واثقا بأن نبأ زيارتي للسيدة "**لترانج**" لم يكن قد وصل بعد إلى أذني جارتنا العزيزة .

وخطر لي وأنا أغلق باب السور . . أن ألقي نظرة على الحظيرة التي تقع في ركن

الحديقة والتي جعل منها "**لورنس ريدنج**" مرسما لكي أرى مدى ما تم في صورة "**جريزلدا**" ..

وهنا لابد أن أروي حادثا مهمًّا له صلة وثيقة بوقائع هذه القصة . ولكني لن أشير إليه فيما بعد إلا عند الضرورة القصوى .

كنت أظن أن لا أحد بالمرسم ، فإنني لم أسمع صوتا يدل على وجود أحد . كذلك لم يُحدث وقع قدمي على العشب صوتا ..

وما إن فتحت باب المرسم حتى تسمرت قدماي على عتبته .. فقد وقع بصري في الداخل على رجل وامرأة يتعانقان .

كان الرجل هو "**لورنس ريدنج**" ، وكانت المرأة هي السيدة "**بورتيرو**" .

تراجعت على الفور ، وهرولت إلى مكتبي ، وهناك جلست على أحد المقاعد، وأشعلت غليوني .. وأخذت أفكر ..

كان ما رأيته في المرسم مفاجأة لي ، زاد من وقعها أنني كنت واثقا بعد الحديث الذي دار بيني وبين "**ليتيسيا**" بعد ظهر ذلك اليوم بأن هناك صلة حب بينها وبين "**لورنس**" .. ويبدو أنها هي أيضا كانت تتوهم ذلك دون أن يخطر لها ببال أن المرأة التي يحبها "**لورنس**" هي زوجة أبيها .

ولم يسعني إلا الاعتراف بذكاء الآنسة "**ماربل**" ، فهي الوحيدة التي لم تخطئ، وهي الوحيدة التي أدركت الحقيقة في الوقت الذي انخدعت أنا فيه تماما بالنظرة التي رنت بها إلى زوجتي وهي تتحدث عن علاقة "**لورنس**" بإحدى السيدات .

لم أتصور قط أن تلك السيدة يمكن أن تكون السيدة "**بورتيرو**" .. المرأة الهادئة المنطوية على نفسها ..

وكنت لا أزال أفكر في ذلك حين سمعت طرقا على باب الشرفة المطلة على الحديقة .. فقصدت إلى ذلك الباب وفتحته ، فوجدت أمامي السيدة "**بورتيرو**" .. التي دخلت قبل أن أدعوها للدخول ، وتهالكت على أحد المقاعد وهي تلهث .. وخُيِّل إلي على الفور أنني لم أرها قبل ذلك قط ، فهي ليست المرأة الهادئة المتقوقعة التي أعرفها .. كانت أمامي امرأة تضطرم حيوية، وتكاد تختنق

يأسا ..

ولأول مرة لم يسعني إلا الاعتراف بأنها جميلة جداً .

قالت :

– خطر لي أنه من الأفضل أن أقابلك .. إنك رأيت منذ قليل ..

ولم تتم عبارتها ، فاومأت برأسي علامة الإيجاب .

قالت بصوت هادئ :

– إنه يحبني وأنا أحبه .

ولم تتمالك عن الابتسام على الرغم من يأسها واضطرابها ..

كانت ابتسامة امرأة تتكلم عن شيء جميل رائع، واستطردت حين وجدتني ألوذ بالصمت :

– هذا في نظرك خطيئة .. أليس كذلك ..؟

– وهل يمكن أن يكون غير ذلك يا سيدة **"بورتيرو"** ..؟

– كلا بالتأكيد ..

فاستطردت قائلا بصوت حرصت على أن يكون هادئا ولطيفا :

– إنك زوجة ..

– أعلم ذلك .. أعلم ذلك .. أتظن أنني لم أقل ذلك لنفسي المرة تلو المرة ..؟ إنني لست امرأة مبتذلة ..كلا .. كلا .. إن علاقتنا لم تتطور إلى الحد الذي تتصوره .

– يسعدني أن أعلم ذلك

فسألت في جزع :

– هل ستشي بي إلى زوجي ؟

فأجبتها في جفاء :

– من عجب أن أكثر الناس يظنون أن القس لا يمكنه أن يتصرف كرجل نبيل.

فرمقتني بنظرة امتنان وقالت :

– إنني امرأة شقية . وقد ضقت بشقائي، وأصبحت لا أدري ماذا يجب أن

أفعل.. أنت لا تعرف أية حياة أحياها مع زوجي .. لقد كنت تعسة معه .. وليست هناك امرأة تسعدها الحياة معه .. ولقد مرت بي لحظات تمنيت فيها أن يموت ..

ونهضت فجأة ، وأرسلت بصرها عبر الباب المؤدي إلى الحديقة ، وهتفت :

– ماهذا .. ؟ خُيِّل إلي أنني سمعت وقع أقدام ، لعلها "**لورنس**" .

فقصدت إلى الباب ، وكنت أظنه مغلقا .. ولكنه لم يكن كذلك ..

أجلت البصر في الحديقة . ولكني لم أرَ أحدا على ا لرغم من أنني كنت موقنا بأنني قد سمعت كذلك وقع أقدام .

ولما عدت ، وجدتها في مقعدها وقد انحنى رأسها فوق صدرها فكانت مثلا حيا لليأس والقنوط .

راحت تردد :

– ماذا أفعل ..؟ ماذا أفعل ..؟

فجلست بجانبها ، وقلت لها ما يمليه علي الواجب .. وتذكرت وأنا أفعل ذلك ، أنني أنا نفسي قد تمنيت الموت للعقيد "**بورتيرو**" في صباح ذلك اليوم. توسلت إليها ألا تقدم على أمر لايمكن الرجوع فيه ، كأن تهجر زوجها وتترك بيتها . ورجوتها ألا تفعل شيئا من ذلك إلاعند الضرورة القصوى ..

ولكني لا أظن أنني أقنعتها .. فإن تجاربي الطويلة في الحياة قد علمتني أن لا جدوى من محاولة رد العاشق إلى سواء السبيل . بيد أنني استطعت على أي حال أن أدخل على نفسها بعض السكينة .

وشكرتني ، ووعدت بالعمل بنصيحتي .. وانصرفت .. وتركتني نهبًا للقلق..

كنت أعلم أنها الآن امرأة يائسة .. وعاشقة يسيطر قلبها على عقلها .. ومن الممكن أن تقدم على أي عمل ..

كانت تحب "**لورنس**" بجنون ووحشية .. كما تحب أية امرأة شابا أصغر منها سنا.. وذلك أمر لايبشر بخير .

✽✽✽✽✽

- 4 -

العقيد "بورتيرو"

كنت قد نسيت تماما أننا دعونا **"لورنس ريدنج"** لتناول العشاء في ذلك المساء، ولذلك دهشت عندما رأيت **"جريزلدا"** تقتحم علي قاعة المكتب لتقول لي إن المائدة ستكون معدة بعد دقيقتين .

ثم استطردت تقول :

– لقد فكرت فيما قلته لي ظهر اليوم ، فأشرفت على كل شيء بنفسي ، وأعددت طعاما شهيا .

وأستطيع أن أقول بطريقة عابرة إن الطعام الشهي الذي أعدته زوجتي أيد ما ذكرته هي عن نفسها حين قالت : " إنها تفسد كل شيء تعنى به" . فقد كان اختيار ألوان الطعام ينم عن المبالغة والمظهرية .. بالإضافة إلى أن بعض الطعام قد احترق والبعض الآخر لم يتم نضجه .

وكنت أخشى ألا يحضر **"لورنس"** على الإطلاق ، فقد كان بوسعه بسهولة أن يختلق عذرا للتخلف ، ولكنه جاء في الوقت المحدد تماما . وانتقلنا على الفور إلى قاعة الطعام ..

كان **"لورنس ريدنج"** شابا وسيما ذا شخصية جذابة له شعر أسود، وعينان زرقاوان خاطفتا البريق .. وقد اجتمعت فيه كل صفات الشاب الكامل .. فهو في نحو الثلاثين من عمره ، رياضي ماهر، وصياد بارع، وممثل هاوٍ .. ومتحدث لبق ، وأظن كذلك أنه فنان عصري أصيل على الرغم من أنني أفتقر إلى الخبرة في هذا المجال .

وكان من الطبيعي أن يبدو شارد الذهن – إلى حد ما – في ذلك المساء ، ولكن سلوكه كان ممتازا ، وأعتقد أن **"جريزلدا"** و**"دنيس"** لم يلاحظا عليه شيئًا غير عادي ، ومن المحتمل أنني ما كنت لألحظ شروده لولا أنني أعرف ما أعرف .

وكانت **"جريزلدا"** و**"دنيس"** مرحين للغاية .. فراحا يسخران من الدكتور

"**ستون**" والآنسة "**كرام**" ، اللذين كان اسماهما على كل لسان في القرية .

وأحسست وأنا أنصت إليهما .. بأن سن "**جريزلدا**" تكاد تكون أقرب إلى سن "**دنيس**" منها إلي .. وكان الفتى يدعوني بالمعلم "**ليونارد**" ، بينما كان يدعو "**جريزلدا**" باسمها .. مما جعلني أشعر بشيء من العزلة والوحدة .

ولم يلبث "**لورنس**" أن اشترك معهما في الحديث ، ولم أدهش حين تأبط ساعدي بعد العشاء ، وسار معي إلى غرفة المكتب .

وما إن انفردنا حتى تغيرت سحنته وقال لي بشيء من الحدة :

– إنك عرفت سرنا يا سيدي .. فماذا في نيتك أن تفعل ..؟

ووجدت أنني أستطيع أن أحدثه بحرية أكثر مما تحدثت بها إلى السيدة "**بورتيرو**" .. وتقبل كلامي بصدر رحب وقال بعد أن فرغت من حديثي :

– من الطبيعي بحكم وظيفتك كقس أن تقول لي كل هذا الكلام . وأظن أنك على حق .. ولكن حبنا ليس حبا عاديا .

فلفت نظره إلى أن جميع الرجال منذ بدء الخليقة يرددون هذه العبارة .

وعندئذ ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة وقال :

– أتريد أن تقول إن كل عاشق يتوهم أن حبه فريد من نوعه ..؟ ربما كان هذا صحيحا . ولكن هناك أمرًا يجب أن تكون على يقين به .

وأكد لي أن العلاقة بينه وبين "**آن**" حتى تلك اللحظة لم تتجاوز حدود الحب الطاهر البريء ، واستطرد قائلاً :

– إن "**آن**" هي أعز وأخلص امرأة في الوجود .

فسألته :

– وماذا سيحدث الآن ؟

فأجاب بأنه لايعلم، وقال :

– لو كانت هذه قصة مما نقرؤه في الكتب لمات الزوج العجوز وأراح الجميع .

فنظرت إليه مستنكرا فقال :

– لا أعني أنني سأطعنه في ظهره بخنجر ، ولكني أشكر من كل قلبي من يقوم

بهذه المهمة . أنا واثق بأنه لا يوجد في الدنيا كلها شخص واحد يذكر هذا الرجل بالخير .وإني لأعجب كيف لم تفتك به زوجته الأولى .. لقد قابلتها منذ بضعة أعوام، وخُيِّل إلي أنها امرأة قوية الإرادة، وأنه كان بوسعها أن تفعل ذلك . .إنه شيطان رجيم يتحرش بكل إنسان ويثير المتاعب في كل مكان ، ولن يمكنك أن تتصور كم قاست منه "**آن**" .!! لو كان لدي بعض المال لاختطفتها وذهبت بها بعيدا دون أن أتردد .

قال ذلك وصمت .. فرجوته أن يرحل عن "**سانت ماري ميد**"؛ إذ لم يعد ثمة جدوى من بقائه فيها .. ولأن وجوده بالقرية لن يزيد "**آن**" إلا شقاء . فإن الناس لا يكفون عن الكلام ، وسيصل كلامهم إلى مسامع العقيد إن عاجلا أو آجلا .

– ولكن لا أحد في القرية يعرف هذه العلاقة سواك .

– إنك لا تعرف شيئا عن طباع سكان القرى الصغيرة أيها الشاب ، إن في أعماق كل منهم بوليسا سريًا يرى ويسمع ويسأل ويتكلم .. ويجب أن تصدقني حين أقول لك: " إن كل شخص هنا يعرف أدق شؤونك وأسرارك" .

إن "**إنجلترا**" كلها لا يوجد بها رجل بوليس سرى واحد يضارع في براعته هؤلاء العوانس اللائي ليس لديهن ما يشغلهن .

– إذا صح ذلك فلاخوف على سرنا .. لأن الجميع يعتقدون أن "**ليتيسيا**" هي محور اهتمامي .

– ألم يخطر لك ببال أنه يمكن لـ "**ليتيسيا**" نفسها أن تعتقد ذلك ..؟

ويبدو أن السؤال كان مفاجأة له ..

قال :

– إن "**ليتيسيا**" فتاة غريبة الأطوار ، تبدو في ظاهرها كأنها تعيش في الوهم والخيال ، ولكني أعتقد أنها أعمق كثيرا مما تبدو .. أضف إلى ذلك أنها شديدة الحقد ..إنها تحقد على "**آن**" ولا أدري لماذا .. إنها تمقتها أشد المقت على الرغم من أن سلوك "**آن**" حيالها كان سلوكًا بريئًا .

وكان ينبغي ألا أصدقه .. فإن كل امرأة تبدو في نظر عاشقها "ملاكًا" .. ولكني

كنت أعلم أن "**آن**" تعطف على ابنة زوجها وتعاملها برفق .. ولذلك أدهشني روح الكراهية التي انطوى عليها حديث "**ليتيسيا**" عن زوجة أبيها بعد ظهر ذلك اليوم.

وانتهى الحديث بيني وبين "**لورنس**" عند هذا الحد فقد اقبلت "**جريزلدا**" و"**دنيس**" في هذه اللحظة .. وتهالكت الأولى على أحد المقاعد، وهتفت :

– يا إلهي ..! كم أنا مشوقة إلى حادث مثير يبدد هذا الملل ..! كأن أشهد جريمة قتل .. أو حتى جريمة سرقة ..

فقال "**لورنس**" :

– لا أظن أنه يوجد بهذه القرية ما يستحق السرقة .. باستثناء طاقم أسنان الآنسة "**هارتنل**" .

فضحكت "**جريزلدا**" وقالت :

– وهل نسيت القصر القديم ..قصر العقيد "**بورتيرو**" ..؟ إنه حافل بصحاف فضية، وكؤوس ذهبية، ولوحات فنية، وتحف تقدر قيمتها بآلاف الجنيهات.

فقال "**دنيس**" :

– إن العقيد العجوز لن يتردد في استخدام مسدسه الضخم في قتل من تحدثه نفسه بالسطو على تحفه .. بل إنه سوف يجد لذة كبرى في ذلك .

فقالت "**جريزلدا**" :

– إذن يجب أن تكون الخطوة الأولى هي شد وثاق العقيد .. من منكم لديه مسدس ..؟

فأجاب "**لورنس**" بإيجاز :

– إنه من ذكريات الحرب .

فقال "**دنيس**" :

– لقد عرض العقيد اليوم مقتنياته وتحفه على الدكتور "**ستون**" فأبدى هذا الأخير اهتماما بالغا بها .

فقالت "**جريزلدا**" :

– ألم يتردد أنهما تشاحنا بسبب الحفريات ..؟

فقال "**دنيس**" :

– أعتقد أنهما تصالحا .

فقال "**لورنس**" :

– إن هذا الدكتور "**ستون**" يثير دهشتي .. لقد خُيِّل إلي في بعض الأحيان أنه لايعرف شيئا عن الآثار والحفريات.

فقال "**دنيس**" ضاحكا :

– ولكنه يعرف الكثير عن الحب .

قال "**لورنس**" :

– أظن أنني يجب أن أذهب الآن .. شكرا جزيلا على هذه الأمسية الجميلة يا سيدة "**كليمنت**" .

ورافقته "**جريزلدا**" و "**دنيس**" إلى الخارج ، وبعد بضع دقائق عادت زوجتي وهي تقول :

– لقد جاءت الآنسة "**ويذرباي**" الآن وذهبت ، ولم تمكث إلا ريثما قالت إن السيدة "**لتراغ**" غادرت بيتها في الساعة الثامنة والربع، ولم تعد إلى الآن .. ولا يعلم أحد أين ذهبت .

– وماذا يهم الناس من ذلك ..؟

– ثم قالت إنها واثقة بان السيدة "**لتراغ**" لم تذهب إلى الدكتور "**هايدوك**"؛ لأنها اتصلت تليفونيا بالآنسة "**ويذرباي**" التي تقطن بجوار الدكتور، وعلمت منها أنها لم تر الآنسة "**لتراغ**" .

– الحق أنني لا أدري كيف يجد أولئك الناس وقتا لتناول الطعام .. لابد أنهم يتناولون وجباتهم وقوفا أمام النوافذ حتى لا تفوتهم صغيرة أو كبيرة. فقالت "**جريزلدا**" ووجهها يطفح بشرا :

– ليس ذلك كل ماهنالك .. لقد اكتشف أيضا أن الدكتور "**ستون**" والآنسة "**كرام**" يقيمان في غرفتين متلاصقتين بالفندق ولكن ..

وهزت إصبعها لتؤكد أهمية العبارة التالية، وقالت :

– ولكن .. ليس هناك باب يوصل بين الغرفتين .

– وا أسفاه ..

فانفجرت "**جريزلدا**" و"**دنيس**" ضاحكين .

وقد بدأ اليوم التالي بداية سيئة .. إذ اختلفت اثنتان من السيدات أيتهما تقوم بإعادة طلاء جدران الكنيسة على نفقتها ، واضطررت إلى التدخل لإنهاء الخلاف.. ثم كان علي كذلك أن أعمل على تهدئة عازف الأرغن الذي كان غاضبا لسبب ما ..

وكنت في طريقي إلى البيت حين قابلت العقيد "**بورتيرو**" .

كان مرحا خلافا للعادة ، فقد أصدر لتوه ، بصفته قاضي الناحية ، حكما بغرامة فادحة على ثلاثة أشخاص اتهموا بسرقة الصيد .

قال لي بصوت مرتفع كما هي عادة المصابين بضعف السمع:

– لابد من الشدة في معاملة هؤلاء الأشقياء .. وقد قيل لي إن أحدهم ، وهو ذلك الوغد المدعو "آرثر" ، قد هدد بالانتقام مني .. ولكني سأعلمه معنى الانتقام إذا مثل أمامي مرة أخرى .. لقد حاول أن يثير شفقتي عليه من أجل زوجته وأولاده.. ولكن القانون هو القانون ويجب أن يأخذ مجراه . .إنك معي في هذا الرأي . أليس كذلك ..؟

– هل تنسى أن وظيفتي كقس تحتم علي أن أضع فضيلة أخرى قبل سائر الفضائل .. ألا وهي الرحمة ..؟

– هذا حسن .. ولكنني رجل عادل .. فهل هناك من يقول عني غير ذلك ..؟

ولكني لزمت الصمت، فقال في خشونة :

– لماذا لا تتكلم ..؟

فأجبته بعد تردد قصير :

– الحق يا عقيد "**بورتيرو**" .. أنني لا أود حين أقف بين يدي ربي أن تكون شفاعتي الوحيدة هي أنني كنت عادلا .. إن معنى ذلك أنني يجب أن أحاسب

بالعدل دون رحمة ..

- أنا أؤدي واجبي فحسب .. ولكن دعنا من ذلك الآن .. إنني سأذهب لمقابلتك هذا المساء كما اتفقنا ..

وليكن ذلك في الساعة السادسة والربع بدلا من السادسة، فإن لدي أعمالا في القرية يجب أن أنجزها .

- اتفقنا .

ومضى في طريقه وهو يلوح بعصاه .. وما إن تحولت لأواصل السير حتى وجدتني وجها لوجه أمام السيد "**هاوس**" شماس الكنيسة .

كان في نيتي أن أؤنبه؛ لأنه ترك بعض الأعمال ولم ينجزها ، ولكنني رأيته شاحب الوجه، بادي التعب ، فنصحت له أن يأوي إلى فراشه؛ طلبا للراحة .

وتناولت طعام الغداء بسرعة ، وغادرت البيت للقيام ببعض الزيارات ، وانتهزت "**جريزلدا**" هذه الفرصة للسفر إلى "**لندن**" للتسوق .

وعدت إلى البيت في حوالي الساعة الرابعة إلا الربع؛ لكي أعد لموعظة الأحد التالي ،و لكنني ما كدت أدخل البيت حتى قالت لي "**ماري**" : إن "**لورنس ريدنج**" ينتظرني في مكتبي .

وجدته يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا، وهو شاحب الوجه، بادي الاضطراب والقلق.

قال حالما رآني :

- إنني فكرت فيما قلته لي بالأمس ، وفكرت طويلا، ولم يغمض لي جفن .. وأظن أنك على حق .. إنني سأقطع صلتي بـ"**آن**" وأرحل .

- هذا خير ما تفعل يا بني ..

- إنك كنت على حق فيما يتصل بـ "**آن**" بصفة خاصة . إن بقائي هنا لن يزيدها إلا شقاء .. ولذلك عولت على الرحيل .

- الواقع أن هذا هو الحل الوحيد الممكن .. إنه مؤلم بالنسبة إلى كليكما ولكنه أفضل الحلول .

فصمت قليلا ثم قال :

– إنني أعهد إليك بـ "**آن**" .. فهي بحاجة إلى صديق .

– كن مطمئنا .. فلسوف أبذل لها كل ما بوسعي .

– شكرا لك يا سيدي .. إنك رجل طيب .. سأذهب الليلة لوداعها ثم أحزم حقائبي وأرحل في الصباح .

وشكرا لك مرة أخرى على أنك أفسحت لي حظيرتكم ويوسفني أنني لم أتمكن من إتمام صورة زوجتك .

– لا عليك من ذلك يا ولدي العزيز .. أستودعك الله .

✽✽✽✽✽

وحاولت بعد رحيله أن أكتب موعظتي .ولكن دون جدوى .. إذ ظلت أفكاري طول الوقت تحوم حول "**لورنس ريدنج**" و"**آن بورتيرو**" .

وإلى الساعة الخامسة والنصف ، تلقيت محادثة تليفونية بأن السيد "**أبوت**" – صاحب إحدى المزارع – يحتضر ..و أنني يجب أن أذهب إليه على وجه السرعة؛ لأكون إلى جواره في ساعته الأخيرة .

وعلى الفور ، اتصلت تليفونيا بقصر العقيد "**بورتيرو**" ؛ لأن مزرعة السيد "**أبوت**" تقع على بعد 2 و3 كم، ولا يمكن أن أعود منها في الساعدة السادسة والربع.

وهو الموعد الذي حدده "**بورتيرو**" لزيارتي .

وقيل لي في القصر: إن الكولونيل غير موجود ، فغادرت البيت بعد أن قلت لـ"**ماري**" إنني سأبذل قصارى جهدي لكي أعود في الساعة السادسة والنصف.

- 5 -

المحقق

كانت الساعة أقرب إلى السابعة منها إلى السادسة والنصف عندما عدت إلى البيت قادما من باب الحديقة حين فتح هذا الباب وخرج منه "**لورنس ريدنج**" .

ورآني .. وجمد في مكانه .وأذهلني منظره فقد كان أشبه برجل فقد عقله .
كان شاحب الوجه ، شارد البصر ، وكل جسده يرتجف .
وخطر لي لأول وهلة أنه ربما كان ثملا .
قلت له :

– هل عدت لمقابلتي ..؟ يؤسفني أنني لم أكن موجودا .. تفضل بالدخول .. إنني على موعد بـ "بورتيرو" .. ولكن اجتماعنا لن يستغرق وقتا طويلا. فقال:

– "بورتيرو" !

وانفجر ضاحكا واستطرد قائلاً :

– "بورتيرو" ..! حسنا .. إنك ستراه .. يا إلهي! فمددت إليه يدي لاصطحابه إلى الداخل ، ولكنه تراجع إلى الوراء وصاح :

– كلا .. دعني أذهب .. إنني بحاجة إلى أن أفكر . وانطلق يعدو ، وما لبث أن اختفى في الطريق الموصل إلى القرية .

وبقيت في مكاني لحظة ، وقد زاد يقيني بأنه ثمل، واجتزت الحديقة إلى البيت، وعلى الرغم من أن الباب كان مفتوحا ، فإنني ضغطت الجرس بطريقة تلقائية .
وأقبلت "ماري" مهرولة وهتفت وهي تجفف يديها في مئزرها :

– أهذا أنت يا سيدي ..؟

فسألتها :

– هل جاء العقيد "بورتيرو" ..؟

– إنه ينتظر بالمكتب منذ الساعة السادسة والربع .

– هل رأيت السيد "ريدنج" ..؟

– نعم ..إنه سأل عنك منذ بضع دقائق . فقلت له: إنك ستعود بين لحظة وأخرى، وإن العقيد ينتظرك بالمكتب ، فقال إنه سينتظرك هناك أيضا .. ولابد أنهما معا الآن .

– كلا .. لقد قابلته عند باب الحديقة منذ لحظة .

– إنني لم أشعر بانصرافه .. لابد أنه لم يمكث أكثر من دقيقتين .

ثم أردفت قائلة :

ـ إن سيدتي لم تعد من "**لندن**" بعد .

فاطرقت برأسي ، ومضت "**ماري**" إلى المطبخ ، بينما سرت في الدهليز الموصل إلى غرفة المكتب .. وفتحت الباب ..

وكان الدهليز مظلما ، فبهر بصري ضوء الشمس الساطع الذي يملأ الغرفة .. وظللت لحظة لا أرى شيئًا .. ثم تقدمت خطوة أو خطوتين .. وتوقفت فجأة .

ومرت بي لحظة خاطفة عجزت خلالها عن فهم ما أرى .

كان العقيد جالسا على أحد المقاعد وقد سقط رأسه فوق المكتب ، والدم يسيل من رأسه ويتجمع على المكتب، ويتساقط على الأرض نقطة فنقطة بصوت مكتوم مخيف .غالبت ذعري وذهولي واقتربت من الجثة ولمستها .

كانت باردة تماما .. تناولت إحدى اليدين ورفعتها .. ثم تركتها فسقطت بلاحياة .. لقد مات الرجل برصاصة في الرأس .

وأسرعت إلى الباب وناديت "**ماري**" فاقبلت مهرولة، فأمرتها أن تسرع إلى الدكتور "**هايدوك**" الذي يقع بيته في ركن الشارع. وأن تطلب إليه الحضور على وجه السرعة؛ لأن حادثا قد وقع .

وعدت إلى قاعة المكتب وأغلقت بابها ، وانتظرت قدوم الطبيب ..ومن حسن الحظ أن "**ماري**" وجدته في بيته فجاء مسرعا .كان رجلا قصير القامة، بدينا .. ولكنه كريم ، طيب القلب .

أشرت إلى الجثة دون أن أنطق بكلمة .. ولم يبد على "**هايدوك**" ـ ككل طبيب يحترم نفسه ومهنته ـ أي أثر للدهشة أو الانفعال . وانحنى يفحص الجثة وفرغ من ذلك بسرعة ، واعتدل واقفًا ، فسألته :

ـ ماذا وجدت .. ؟

ـ إنه مات .. مات منذ أقل من نصف الساعة .

ـ انتحار ..؟

ـ مستحيل .. انظر إلى مكان الجرح .. ثم هب أنه قتل نفسه ، فأين السلاح..؟

والواقع .. أنه لم يكن بالغرفة أي أثر لأي سلاح. قال "**هايدوك**" :

– يجب ألا نمس شيئا .. وسأتصل الآن بالشرطة.

قال ذلك ، وتناول السماعة، واتصل بمركز الشرطة، ووصف الحادث بإيجاز شديد ثم وضع السماعة وتحول إلي وقال :

– جريمة قذرة ..! كيف اكتشفت الحادث .. ؟

فرويت له، ثم سألته :

– أواثق أنت بأن في الأمر جريمة .. ؟

– ماذا يمكن أن يكون غير ذلك .. ؟ إنه لحادث عجيب حقًّا .. إنني أعلم أن هذا العجوز التعس لم يكن محبوبا .ولكن الإنسان لا يقتل لأنه غير محبوب.

– هنالك أمر أثار حيرتي .. لقد طلبت بعد ظهر اليوم لزيارة مريض قيل لي إنه يحتضر .. فلما ذهبت إليه دهشت أسرته ، وقالت: إنه بخير ، وإن صحته أخذت في التحسن منذ بضعة أيام ، ونفت زوجته نفيا باتا أنها اتصلت بي تليفونيا وطلبت قدومي .

فقطب "**هايدوك**" حاجبيه وقال :

– فهمت ..إنهم أرادوا إبعادك عن البيت .. ولكن أين زوجتك ..؟

– إنها ذهبت إلى "**لندن**" .

– والخادمة ..؟

– في مطبخها في الجانب الآخر من البيت .

– إذن فمن المحتمل أنها لم تسمع شيئا . ولكن هل كان هناك من يعلم أن "**بورتيرو**" سيحضر إلى هنا الليلة ..؟

– إنه ضرب لي هذا الموعد صباح اليوم وسط القرية .. وكان يتكلم بصوت مرتفع كما هي عادته .

– معنى ذلك أن كل القرية كانت تعلم .. ولكن حدثني ..هل تعرف شخصا معينًا يحقد عليه إلى حد يدفعه إلى قتله ..؟

وهنا تذكرت اضطراب "**لورنس**" وامتقاع وجهه .

وفي هذه اللحظة سمعت جلبة في الدهليز ، فقال "**هايدوك**" وهو ينهض واقفا :

– جاء رجال الشرطة . .

ولكن القادم كان شرطيا واحدا هو الرقيب "**هيرست**" . قال :

– طاب مساؤكما . . إن المفتش سيحضر بعد لحظات ، وسأنفذ تعليماته إلى أن يحضر . . لقد قيل لي إن العقيد وجد ميتا هنا في بيت القس .

ونظر إليّ بارتياب ، ولكني صمدت أمام نظرته صمود الرجل البريء المطمئن.

واقترب الشرطي من المكتب وهو يقول :

– يجب ألا يمس شيء قبل قدوم المفتش .

ثم أخرج من جيبه دفترا وقلماً ونظر إلي نظرة المحقق ، فرويت له مرة أخرى كيف وجدت جثة "**بورتيرو**" ، وسجل الشرطي ما رويته ثم تحول إلى الدكتور وسأله :

– ما رأيك في طريقة حدوث الوفاة يا دكتور "**هايدوك**" . .؟!

– حدثت من رصاصة في الرأس .

– والسلاح . .؟

– لا أستطيع أن أجزم في أمره برأي قبل أن أفحص الرصاصة . ولكني أعتقد أن الرصاصة أطلقت من مسدس صغير العيار . .كالمسدس طراز "**موزر**" .

وهنا تذكرت حديث "**لورنس**" حين قال : إنه يملك مسدسا ، ولكني آثرت الصمت، فإن ما جال بخاطري ليس سوى شكوك يحسن أن أحتفظ بها لنفسي .

قال الشرطي :

– متى حدثت الوفاة فيما تعتقد يا دكتور . .؟

فأجاب "**هايدوك**" بعد تردد قصير :

– منذ نصف الساعة . . لا أكثر .

فتحوَّل الشرطي إلي وسأل :

– هل سمعت خادمتك شيئا . .؟

– كلا . . ولكن يحسن بك أن تسألها .

وفي هذه اللحظة ، جاء المفتش "**لاندرومي**" قادما بالسيارة من "**بنهام**" .

كان رجلاً أسمر البشرة، جم النشاط ، تتحرك عيناه السوداوان في محجريهما بسرعة عجيبة ، ولكنه فظ مغرور .

وقد رد تحيتنا بإيماءة من رأسه ، ثم تناول الدفتر من يد "**هيرست**" ، فقرأه بعناية، وتبادل مع "**هيرست**" بضع عبارات بصوت خافت ، ثم اقترب من الجثة بخطى سريعة ، وقال :

– لابد أنكما عبثتما بكل شيء هنا .

فقال "**هايدوك**" :

– إنني لم أمس شيئا .

وقلت :

– وأنا كذلك .

فنظر المفتش طويلا إلى الأشياء المبعثرة فوق المكتب ، ثم نظر إلى بركة الدم كما لو كان يريد أن يستجوبها ، وأخيرا قال :

– هو ذا ما نبحث عنه . لقد ارتطم الرأس عند سقوطه بالساعة التي كانت فوق المكتب فسقطت وتهشمت .. وسنعرف الآن الوقت الذي ارتكبت فيه الجريمة..

هأنذا أرى أن الساعة توقفت عند السادسة و 22 دقيقة ..

ماذا قلت عن الوقت الذي حدثت فيه الوفاة يا دكتور ..؟

– قلت إنها حدثت قبل قدومي بنحو نصف الساعة .

فنظر المفتش في ساعته وقال :

– الساعة الآن السابعة و 5 دقائق ، وقد أنبأوني بالحادث منذ عشر دقائق، أي في الساعة السادسة و 55 دقيقة وقد اكتشفت الجريمة أنت فورا ، وفحصت الجثة فيما لايقل عن 10 دقائق ، معنى ذلك أن هذه الساعة تحدد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط .

فقال "**هايدوك**" :

– إنني حددت وقت الوفاة على وجه التقريب .

وهنا حاولت أن أتكلم .. فقلت :

– إن هذه الساعة . . .

ولكن المفتش قاطعني بقوله :

– معذرة يا سيدي . . إنني لم أطلب إليك الكلام . . .

إن الوقت يمر بسرعة . . وما أريده هو الصمت المطلق .اصمت . .

وفحص المفتش المكتب ثم قال :

– لماذا جلس أمام المكتب على هذا النحو . .؟ هل كان يريد أن يكتب شيئا ؟ آه اما هذا ؟

وأمسك بورقة لوح بها، وفي عينيه نظرة فوز .

كانت الورقة تحمل اسم الكنيسة . وقد كتب في أعلاها :

الساعة السادسة و 20 دقيقة .

ثم هذه الكلمات :

"عزيزي "**كليمنت**" .

يؤسفني أنني لاأستطيع الانتظار أكثر من ذلك إذ يجب . .

وانتهت الرسالة بجرة قلم مضطربة لاتعني شيئاً . .

قال المفتش :

– إن الأمر واضح . . لقد جلس ليكتب هذه الرسالة فدخل القاتل من باب الشرفة وتسلل خلفه وهو يكتب، وأطلق عليه الرصاص .

فشرعت أقول :

– أريد أن أوضح . .

فقاطعني :

– إنني لم أسألك رأيك . . سنبحث الآن عما إذا كانت توجد آثار أقدام . .

فقلت بإصرار :

– أرى من واجبي أن أقول لك . .

فقاطعني "**لاندرومي**" مرة أخرى قائلاً بحزم :

– سندخل في التفصيلات فيما بعد ، أما الآن فإنني أرجوكما مغادرة هذه

الغرفة.

فأطعنا وكأننا تلميذان صغيران ..

وكان يُخيَّل إلي أن ساعات طويلة قد انقضت منذ اكتشاف الحادث ، والحقيقة أن الساعة لم تكن قد تجاوزت السابعة والربع .

قال "**هايدوك**" :

– إذا احتاج إلي هذا الحمار المغرور فقل له أن يتصل بي في عيادتي . .إلى اللقاء .

وما إن انصرف "**هايدوك**" حتى جاءت "**ماري**" لتنبئني بأن "**جريزلدا**" عادت منذ خمس دقائق . فلحقت بزوجتي في قاعة الاستقبال ، ووجدتها في حالة ذعر وانفعال .

رويت لها ما حدث ، وأصغت إليَّ باهتمام شديد . وختمت روايتي بأن قلت:

– وقد كتب "**بورتيرو**" رسالته في الساعة السادسة والدقيقة العشرين ، بينما أشار عقرب الساعة المحطمة إلى الساعة السادسة والدقيقة 22 .

فقالت "**جريزلدا**" :

– ألم تقل للمفتش إننا تعودنا تقديم الساعة 15 دقيقة ؟

– حاولت مرارا أن أقول له ذلك فأبى أن ينصت إلي .

فقطبت حاجبيها وصمتت لحظة ثم قالت :

– ولكن ذلك يغير الوضع تماما؛لأنه إذا كان عقربا الساعة قد توقفا عند السادسة و 22 دقيقة فإن الساعة في الواقع كانت السادسة و سبع دقائق .. وفي هذا الوقت لم يكن العقيد "**بورتيرو**" قد وصل إلى بيتنا ..

- 6 -

القبعة الصفراء

أثار موضوع عقربي الساعة المهشمة اهتمامنا ..وكان من رأي زوجتي أن أقوم بمحاولة جديدة لجذب نظر المفتش إلى هذه الحقيقة ولكني رفضت ..

لقد أبدى "**لاندرومي**" خشونة لا مبرر لها، وأبى أن ينصت إلي؛ ولذلك قررت ألا أفضي إليه برأيي إلا إذا سألني ..

وكنت أتوقع أن يجتمع بي قبل أن يغادر البيت ، ولكنني دهشت حين أنبأتني "**ماري**" بأنه انصرف بعد أن أشرف على نقل جثة العقيد "**بورتيرو**" إلى عيادة الدكتور "**هايدوك**" لتشريحها ثم أوصد باب قاعة المكتب بالمفتاح وطلب الا يدخلها أحد .

وقررت "**جريزلدا**" أن تذهب إلى قصر العقيد .

قالت :

- لابد أن تكون "**آن**" في حالة يرثى لها .. وربما استطعت أن أعاونها وأرفه عنها.

فوافقت عن طيب خاطر ، وطلبت إليها أن تتصل بي تليفونيا إذا تطلب الأمر وجودي مع السيدة "**بورتيرو**" .

وعقب انصرافها ، عاد "**دنيس**" من مباراة للتنس ، وقد انفعل بفكرة وقوع جريمة قتل في بيت قس .. وقال:

- لطالما تمنيت أن أجد نفسي وسط مأساة من هذا النوع ..ولكن لماذا أوصد مفتش البوليس باب قاعة المكتب في حين يمكننا فتحه بمفتاح آخر..؟

ولكنني بطبيعة الحال رفضت بحث مثل هذا الاقتراح ..

وبعد أن سمع "**دنيس**" مني كافة التفصيلات، انطلق إلى الحديقة للبحث عن آثار قد ترشد إلى القاتل ..

وعادت "**جريزلدا**" بعد ساعة تقريبا ..

قالت إنها قابلت "**آن**" حينما كان المفتش ينهي إليها نبأ مصرع زوجها ، وإنها فهمت من أقوال الزوجة التعسة أنها رأت زوجها للمرة الأخيرة في القرية في الساعة السادسة إلا الربع .. وأنها ليست لديها أية معلومات يمكن أن تلقي ضوءا على الجريمة ..

واستطردت "**جريزلدا**" قائلة إن "**لاندرومي**" انصرف بعد ذلك على أن يعود في

اليوم التالي لإجراء تحقيق مفصل . .وأن سلوكه كان مهذبا ولاغبار عليه .

فسألتها :

– وكيف استقبلت السيدة "**بورتيرو**" النبأ . .؟

– كانت هادئة تماما . . ولكن ألم تكن كذلك دائما . .؟

– الواقع أنني لا أستطيع أن أتصور "**آن بورتيرو**" في حالة انهيار عصبي.

– لابد أن الصدمة كانت قاسية . ولكنها واجهتها بثبات ، وشكرتني على أنني ذهبت لزيارتها . . وقالت بحزن إنني لا أستطيع أن أفعل شيئًا من أجلها.

– و"**ليتيسيا**" . .؟

– إنها ذهبت لتلعب التنس في مكان ما . . ولم تكن قد عادت .

وصمتت قليلاً ثم قالت :

– الحقيقة يا "**ليونارد**" أنه خُيِّل إلي أن "**آن**" في حالة غير عادية . .

– من أثر الصدمة بلا شك .

– كلا . . لقد خُيِّل إلي أنها خائفة أكثر منها حزينة .

– خائفة . .؟!

– نعم . . كانت في عينيها نظرة غريبة . وقد سألتني مرارا ، وبإلحاح ، عما إذا كان رجال الشرطة يرتابون في أحد .

– أحقًّا . .؟

وفي هذه اللحظة دخل "**دنيس**" وهو يلهث وقال: إنه عثر على آثار أقدام على العشب وإنه واثق بأن المفتش لم يفطن إلى هذه الآثار التي سوف تميط اللثام عن القاتل . .

وقضيت ليلة مضطربة، وعندما استيقظت في الصباح وجدت "**دنيس**" يجوب البيت للبحث عن أثر جديد .

ولكن الأنباء الجديدة المثيرة لم تصلنا عن طريقه ، وإنما عن طريق "**ماري**" ، إذ لم نكد نجلس حول المائدة لتناول طعام الفطور حتى دخلت "**ماري**" مسرعة ، وهي لامعة العينين، موردة الخدين، وهتفت قائلة :

– هل تتصور ذلك يا سيدي ..؟ لقد قال لي الخباز : إنهم ألقوا القبض على السيد "**ريدنج**" .

ولم تصدق "**جريزلدا**" أذنيها وصاحت :

– ألقوا القبض على "**لورنس**" ..؟ ولكن ذلك مستحيل، لابد أن في الأمر خطأ.

– كلا يا سيدتي .. ليس هناك خطأ؛ لأن السيد "**ريدنج**" هو الذي سلم نفسه.. ذهب إلى مركز الشرطة ليلة أمس، وقدم مسدسه، واعترف بأنه القاتل.

قالت ذلك ونظرت إلينا باهتمام ، ولما اطمأنت إلى أنها نجحت في إثارة دهشتنا.. هزت رأسها ، وانصرفت .

قالت "**جريزلدا**" وهي تنظر إلي في ذهول :

– لايمكن أن يكون ذلك صحيحا ..

ولم أجب، فصاحت :

– لماذا لا تجيب ..؟ هل تعتقد أن ذلك صحيح ..؟

وكان من الصعب أن أجيب عن هذا السؤال ، فلزمت الصمت ، بينما كانت آلاف الخواطر تدور في رأسي .

فقالت "**جريزلدا**" :

– لابد أنه جن .. أو ربما كان هو و العقيد يفحصان مسدسا، فانطلقت منه رصاصة .

– لا أظن ذلك .

– من المؤكد أن الحادث وقع قضاء وقدرا .. وإلا فلأي سبب يقدم "**لورنس**" على قتل العقيد ..؟

وكان في استطاعتي أن أجيب عن هذا السؤال إجابة دقيقة ، ولكنني أردت أن أجنب "**آن**" الفضيحة ما استطعت إلى ذلك سبيلا . لقد كان لايزال هناك أمل في ألا يُذكر اسمها في التحقيق .

قلت لزوجتي :

– أعلم أنهما تشاجرا بسبب صورة "**ليتيسيا**" .. ولكن ذلك لايبرر قتل

"**بورتيرو**" . الحقيقة يا "**جريزلدا**" أننا مازلنا نجهل الظروف المحيطة بالحادث .

– إنني واثقة بأن "**لورنس**" لم يمس شعرة من رأس "**بورتيرو**" .

– هل يجب أن أكرر مرة أخرى أنني عندما قابلته عند باب الحديقة كان أشبه بالمجانين ..؟

– مستحيل .. مستحيل ..

– ثم هناك مسألة الساعة المهشمة .. لابد أن "**لورنس**" قد عبث بها . وجعل عقربيها يشيران إلى السادسة و 22 دقيقة؛ لكي يهيئ دليلا على براءته .

– أنت مخطئ يا "**ليونارد**" .. فإن "**لورنس**" يعلم أننا نقدم الساعة دائما 15 دقيقة وكثيرا ما قال : "إن تقديم عقربي الساعة هو ما يتيح للقس المحافظة على مواعيده" . كلا .. كلا .. يستحيل أن يكون قد ارتكب غلطة وضع عقربي الساعة عند السادسة و22 دقيقة .. كان أحرى به أن يضعهما بحيث يشيران إلى أي وقت آخر .. إلى السابعة إلا الربع مثلا ..

– لعله كان يجهل الوقت الذي حضر فيه "**بورتيرو**" ولعله نسي أننا نقدم ساعتنا خمس عشرة دقيقة ...

فهزت رأسها بارتياب وقالت :

– كلا .. إن الشخص الذي يرتكب جريمة لا تفوته أدق التفصيلات .

وقبل أن أتمكن من الإجابة ، سمعت صوتا هادئا يقول :

– معذرة عن الإزعاج .. ولكن في هذه الظروف المحزنة ..

كان صوت جارتنا الآنسة "**ماربل**" .. فرحبنا بها ، قالت وهي تجلس على المقعد الذي قدمته إليها :

– حادث مخيف .. أليس كذلك ..؟ مسكين "**بورتيرو**" ..كان رجلا مقيتا.. ولكن موته على هذا النحو أمر يبعث على الحزن .. هل قُتل في قاعة المكتب كما قيل لي ..؟

فأومأت برأسي علامة الإيجاب، فقالت تحدث زوجتي :

– أظن أن القس العزيز لم يكن بالبيت وقت وقوع الحادث ..؟

فرويت لها ما حدث بالتفصيل ، فقالت وهي تدير البصر حولها :

– وأين "**دنيس**" ..؟ إنني لا أراه .

فأجابتها "**جريزلدا**" :

– إنه يقوم بدور البوليس السري ، ويبدو أنه عثر على آثار أقدام في الحديقة .. ولعله ذهب ليخبر الشرطة ..

– هل يعتقد "**دنيس**" أنه عرف القاتل .؟ إننا جميعا نعرفه ..

– هل هو الفنان ..؟

– لست أعني ذلك .. إنما أعني أن كل إنسان في القرية يشتبه في قاتل مختلف. .فأنا مثلا أعتقد أنني أعرف القاتل . ولكنني لا أملك دليلا؛ ولذلك أجد من الحكمة أن ألزم الصمت حتى لا أتورط في قضية قذف .. وقد قررت أن ألتزم بالحذر وخاصة مع المفتش "**لاندرومي**" ..

إنه اتصل بي وحدد موعدا لمقابلتي صباح اليوم، ثم عاد فاتصل بي مرة أخرى لإلغاء الموعد .

فقلت :

– لابد أنه لم ير ضرورة لسماع أقوالك بعد أن اعتقل المتهم .

فانحنت الآنسة "**ماربل**" إلى الأمام وهتفت بحدة :

– اعتقل المتهم ..؟ لا علم لي بأنه اعتقل أحدا .

وأدهشني أنها لا تعرف آخر التطورات وأجبتها :

– إنه اعتقل "**لورنس ريدنج**" ..

وبدت عليها دلائل الدهشة فقالت زوجتي :

– أنا أيضا لا أصدق .. على الرغم من أنه اعترف .

– اعترف ؟ أتقولين إنه اعترف ؟!

– إنني واثقة بأن الحادث وقع قضاء وقدرا ، وإلا ما ذهب وسلَّم نفسه.

فانحنت الآنسة "**ماربل**" إلى الأمام مرة أخرى وسألت :

– تقولين إنه سلم نفسه .؟

– نعم .

فتنهدت الآنسة "**ماربل**" بارتياح وقالت :

– آه ! ما أشد ارتياحي لذلك .

فنظرت إليها في دهشة وسألتها :

– هل أسعدك أنه شعر بالندم ..؟!

– شعر بالندم ..؟ لاشك في أنك لا تعتقد بأنه مذنب أيها القس العزيز ..

– ولكنه اعترف .

– إن اعترافه دليل على أنه أبعد ما يكون عن الجريمة .

– الحق أنني لا أفهمك . إذا كان الإنسان لم يرتكب جريمة .. فلماذا يعترف بارتكابها ..؟

– هناك سبب .. يوجد سبب بغير شك ..

– لو أنك رأيت وجهه أمس ..!

– حدثني عن ذلك إذن .

فوصفت لها كيف كان لقائي مع "**لورنس**" عند باب الحديقة في اليوم السابق وأصغت إلي الآنسة "**ماربل**" باهتمام حتى فرغت من حديثي ثم قالت في تواضع:

– إنني لست لامعة الذكاء .. وكثيرا ما يستعصي علي فهم الأمور . والواقع أنني لاأستطيع أن أفهم أسلوبك في التفكير .. فهل تتصور أن الشاب الذي يقدم على جريمة رهيبة كجريمة القتل يمكن أن يبدو كالمجانين عقب ارتكاب فعلته ..؟ إن القتل مع سبق الإصرار يقترن دائما بالهدوء والثبات .. وإذا حدث أن اضطرب القاتل لسبب ما ، فإن اضطرابه لايمكن أن يصل إلى الصورة التي وصفتها ..

– إننا نجهل كل ظروف المأساة ، ومن المحتمل أنهما تشاحنا فاطلق "**لورنس**" الرصاص في سَوْرة غضبه ، ثم هاله ما فعل . هذا أقرب الفروض إلى تصوري.

– يا عزيزي القس .. أنا أعلم أنه من الممكن النظر إلى الأمور من زوايا مختلفة . ولكن دعنا نستعرض الحقائق .. الحقائق التي نعرفها لاتؤيد نظريتك .. فقد قالت خادمتك: إن "**لورنس ريدنج**" لم يمكث في مكتبك أكثر من دقيقتين .. ودقيقتان

لاتكفيان للشجار .. أضف إلى ذلك أن العقيد قتل برصاصة أصابت مؤخر رأسه وهو يكتب .. هذا على الأقل ما ذكرته لي خادمتك ..

فقالت "**جريزلدا**" :

– لقد ذكرت الحقيقة ، كان العقيد يكتب رسالة قال فيها إنه لايستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .. وكان بأعلى الرسالة هذه الكلمات : "الساعة السادسة و 20 دقيقة" وكان عقربا الساعة المهشمة يشيران إلى الساعة السادسة و 22 دقيقة ، وذلك ما يحيرني أنا و"**ليونارد**" .. لأننا تعودنا أن نقدم الساعة 15 دقيقة .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– هذا عجيب حقًّا . ولكن المتهم ..

ولم تتم عبارتها ونظرت إلى الباب المؤدي إلى الحديقة ..كانت "**ليتيسيا**" تقف بالباب ، وما لبثت أن دخلت وقالت محيية :

– طاب يومكم .

ثم تهالكت على أقرب مقعد بانفعال لم نألفه منها :

– إذن فقد ألقوا القبض على "**لورنس**" ..؟

فأجابت "**جريزلدا**" :

– نعم ، وقد كان النبأ صدمة لنا.

فقالت الفتاة ببساطة :

– لم أكن أتصور أن أبي سيقتل يوما ما ، على الرغم من اعتقادي بأن كثيرين كانوا يودون قتله .. أنا نفسي قد مرت بي لحظات ..

فقاطعتها "**جريزلدا**" قائلة :

– هل أحضر لك عصيرا يا "**ليتيسيا**" ..؟

– كلا ... شكرا لك .. إنما جئت للبحث عن قبعتي ..القبعة الصغيرة الصفراء.. أعتقد أنني نسيتها في غرفة المكتب قبل يومين .

فقالت "**جريزلدا**" :

– إذن فلابد أنها لا تزال هناك .. فإن "**ماري**" لا تمس شيئا في غرفة المكتب.

فقالت "**ليتيسيا**" وهي تنهض :

– إذن سأبحث عنها هناك ..

فقلت لها :

– أظن أن ذلك غير ممكن الآن ، فقد أغلق المفتش باب الغرفة واحتفظ بالمفتاح.

– هذا مزعج . ألا يمكن الدخول من الباب المطل على الحديقة ..؟

– ذلك مستحيل . فهذا الباب مغلق من الداخل .. ثم إن القبعة الصفراء لم تعد تلائمك الآن .

– هل تعني أنني يجب أن أرتدي ثياب الحداد ..؟ كلا .. إنني لا أفكر في ذلك ولا أقر هذه التقاليد العتيقة . أليس مما يؤسف له أن يتهم "**لورنس**" بقتل أبي ..؟!

ونهضت واقفة . وشرد بصرها في الفضاء لحظة ثم قالت :

– من يدري .. لعل كل ذلك قد حدث بسببي .. أو على الأصح بسبب ثوب الاستحمام ؟

فهمت "**جريزلدا**" بالكلام .. ثم أمسكت فجأة ..

وقالت "**ليتيسيا**" وعلى شفتيها ابتسامة غريبة :

– يجب أن أعود إلى البيت لأنهي إلى "**آن**" نبأ إلقاء القبض على "**لورنس**" .

وانصرفت من الباب المؤدي إلى الحديقة كما دخلت ، وتحولت "**جريزلدا**" إلى الآنسة "**ماربل**" وسألتها :

– لماذا ضغطت على قدمي ..؟

–خشيت أن تتحدثي في موضوع الجريمة .. إن من الأفضل في مثل هذه الظروف أن يدع الإنسان الأمور تسير في مجراها الطبيعي .. ثم إن هذه الفتاة ليست من السذاجة كما تبدو ..

وفي لحظة ، دخلت "**ماري**" لتقول لي : إن العقيد "**ملشيت**" يريد مقابلتي وإنه ينتظرني في قاعة الاستقبال .

كان "**ملشيت**" هو مدير بوليس الناحية ..

- 7 -

قصة مكذوبة

كان العقيد "**ملشيت**" رجلا قصير القامة، أزرق العينين، أحمر شعر الرأس، تنم ملامحه عن الذكاء واليقظة .

قال حالما رآني :

– طاب صباحك أيها الأب المحترم .. كانت نهاية مؤلمة لذلك المسكين "**بورتيرو**" .. أليس كذلك ..؟ أرجو ألا يكون وقوع هذا الحادث في بيتك قد أزعج زوجتك .

فأجبته بأن "**جريزلدا**" استقبلت الحادث بشجاعة ورباطة جاش ، فقال :

– يسرني أن أعلم ذلك .. يا إلهي ؟! من كان يظن أن "**ريدنج**" يقدم على ارتكاب مثل هذه الجريمة ..! كان ذلك مفاجأة لي .. وكانت المفاجأة الثانية أنه سلم نفسه .

– هل تعرف كيف حدث ذلك ..؟

– إنه ذهب إلى مركز البوليس في الساعة العاشرة من مساء أمس ، ووضع مسدسه على المكتب وقال ببساطة : "أنا الذي ارتكبت الجريمة" .

– وماذا قال عن الدافع إلى الجريمة ..؟

– لم يقل شيئا يستحق الذكر .. كل ما قاله : إنه قابل "**بورتيرو**" وتشاجر معه وأطلق عليه الرصاص . ولم يذكر شيئا عن أسباب الشجار . ولكن حدثني يا "**كليمنت**" .. هل تعرف شيئا عن الحادث ..؟ لقد سمعت شائعات كثيرة . ويبدو أن العقيد حظرعلى "**لورنس**" دخول بيته .. فماذا كان السبب ..؟ هل السبب أنه أغرى الفتاة ..؟ إننا لانريد إقحام "**ليتيسيا**" في الموضوع ..

– كلا .. ليس هذا هو السبب . السبب يختلف عن ذلك تماما . وهذا كل ما أستطيع أن أقوله لك في الوقت الحاضر .

فقال وهو ينهض :

– إن الناس يتكلمون كثيرا .. ولكنني أثق بما قلته لي، ولست أكتمك أنني منزعج من أجل "**لورنس**" .. كان يُخيَّل إلي دائما أنه شاب مهذب . وكل ما أرجوه أن يكون هناك مبرر لجريمته .. سأذهب الآن للقاء الدكتور "**هايدوك**" ..هل تأتي معي ..؟

وطاب لي أن أرافقه ، فخرجنا معا .. وكان بيت "**هايدوك**" يقع على مقربة من بيتي .. فوجدنا الطبيب يتناول فطوره .

قال لي وهو يبتسم :

– إنني عائد للتو من حالة وضع .. هل تعلم أنني قضيت شطرا طويلا من الليل مع قضية "**بورتيرو**" ..؟ لقد استخرجت الرصاصة .

ووضع على المائدة علبة صغيرة . فنظر "**ملشيت**" إلى الرصاصة في العلبة وقال :

– إنها رصاصة مسدس عيار 25 .

فهز "**هايدوك**" رأسه وقال :

– يجب أن أحتفظ بالتفصيلات الفنية للمحققين . وكل ما أستطيع أن أقوله الآن هو أن الوفاة حدثت على الفور ..لكن أليس غريبا أن أحدا لم يسمع صوت الطلق الناري ..؟

فقالت "**ملشيت**" :

– ذلك ما يدهشني أيضا .

فقلت :

– لم يكن بالبيت وقتئذ سوى "**ماري**" ، وهي تقضي وقتها في المطبخ . وليس للمطبخ سوى نافذة واحدة تطل على الجانب الآخر للبيت .

فقال "**ملشيت**" يحدثني :

– وجارتكم العجوز .. الآنسة "**ماربل**" .. ألم تسمع شيئا .؟ إن باب المكتب المطل على الحديقة كان مفتوحا على مصراعيه.

فأجبت :

– إنها زارتني منذ قليل ، ولم تذكر لي أنها سمعت شيئا .

– لابد أنها سمعت صوت الطلق الناري، ولم تلق إليه بالاً ، ظنا منها أن مصدره إحدى السيارات .

فقال "**هايدوك**" :

– إذن لابد أن القاتل استخدم جهازا لكتم الصوت ، ذلك هو التفسير الوحيد .

ولكن "**ملشيت**" هز رأسه سلبا وقال :

– المفتش "**لاندرومي**" لايعتقد ذلك .. إنه سأل "**لورنس**" عما إذا كان قد استخدم جهازا كاتما للصوت فنفى ذلك بشدة .

فقال "**هايدوك**" :

– هل عرفتم الدافع إلى الجريمة ..؟

– قال إنه اختلف مع "**بورتيرو**" ، وثارت ثائرته وتصرف بلا وعي .

– لعله أراد أن ينفي عن نفسه تهمة التعمد وسبق الإصرار .

فهز "**هايدوك**" رأسه وقال:

– هذا زعم باطل، فقد تسلل القاتل وراء "**بورتيرو**" وأطلق الرصاص على مؤخرة رأسه وهو يكتب ... إن أقوال "**لورنس**" تتعارض تماما مع الحقائق .

فقلت مكررا ما سمعته من الآنسة "**ماربل**" :

– يضاف إلى ذلك أنه لم يكن هناك متسع من الوقت للشجار ، إنه لم يمكث في البيت أكثر من دقيقتين . وهي مدة لا تكفي للمشاجرة مع "**بورتيرو**" ثم التسلل وراءه، وإطلاق الرصاص عليه ، ثم العبث بعقربي الساعة .

فقال "**هايدوك**" :

– إن "**لورنس**" يكذب .. هذا أمر لا شك فيه .

فقال "**ملشيت**" :

– أعتقد أن أفضل ما نستطيع عمله ، هو أن نقابل "**لورنس**" شخصيا في مركز الشرطة .

✽✽✽✽✽

- 8 -

اعترافات "آن بورتيرو"

ذهبنا جميعا إلى مركز البوليس ، وقابلنا "**لورنس ريدنج**" في مكتب المفتش "**لاندرومي**" .. وكان الشاب شاحب الوجه، لكنه هادئ تماما ، هدوءا يبدو غريبا في مثل ظروفه، وبدأ "**ملشيت**" حديثه بقوله :

– أصغ إلي يا "**لورنس**" .. إنك اعترفت للمفتش بأنك ذهبت إلى بيت القس في حوالي الساعة السابعة إلا الربع ، وأنك قابلت العقيد "**بورتيرو**" هناك، فشجر بينكما خلاف انتهى بأن أطلقت عليه الرصاص ، ثم غادرت البيت ... إنني لم أقرأ أوراق التحقيق، ولكن ذلك ما فهمته من تلخيص المفتش لأقوالك، فهل ذلك صحيح .؟

– نعم

– إذن فسألقي عليك بضعة أسئلة .. ولك مطلق الحرية في أن تجيب عنها، أو لاتجيب .. كما أن من حقك أن تستعين بمحاميك ..

فأجاب الشاب :

– لست بحاجة إلى محامٍ ، وليس عندي ما أخفيه .أنا الذي قتلت "**بورتيرو**" .

– ليكن ذلك . ولكن كيف اتفق وجود مسدس معك؟

فأجاب "**لورنس**" بعد تردد قصير :

– كان المسدس في جيبي .

– هل أخذته معك عندما ذهبت إلى بيت القس ..؟

– نعم .

– لماذا ..؟

فتردد الشاب مرة أخرى قبل أن يجيب :

– إنني أحمله معي دائما .

– ولماذا أخرت عقربي ساعة المكتب ..؟

– ساعة المكتب ..؟

– نعم .. فقد وجدنا عقربيها يشيران إلى الساعة السادسة والدقيقة 22 .

فظهرت دلائل الفزع على وجه "**لورنس ريدنغ**" وقال متلعثما:

– آه ! نعم .. إنني عبثت بالعقربين .

وهنا تدخل "**هايدوك**" فجأة وسأل :

– إلى أي جزء من جسم "**بورتيرو**" سددت رصاصتك .

– أظن .. أظن أنني سددتها إلى الرأس .

– هل أنت واثق بذلك ..؟

– لابد أنك تعرف .. فلماذا تسألني ؟..

كان واضحا أنه يحاول التملص من الإجابة ..

وفي هذه اللحظة دخل أحد رجال الشرطة وبيده رسالة .

قال :

– هذه رسالة للسيد القس .

فتناولت الرسالة، وفضضتها ، وقرأت فيها ما يلي :

"أرجو الحضور لمقابلتي ، فإنني لا أعرف ماذا يجب أن أفعل . أريد أن أعترف فأتوسل إليك أن تحضر فورا وأن تصحب معك شخصا آخر" .

الإمضاء

"**آن بورتيرو**"

فنظرت إلى "**ملشيت**" نظرة فهم معناها ، ونهضنا معا للانصراف ، وقبل أن أغادر المكان ، حانت مني التفاتة إلى "**لورنس**" ، فرأيته ينظر إلى الرسالة التي بيدي باهتمام وإصرار ، ولست أذكر أنني رأيت على وجه إنسان ما رأيته على وجه "**لورنس**" في تلك اللحظة من دلائل اليأس والألم .

وعلى الفور تذكرت كلمات "**آن بورتيرو**" حين قالت لي: إنها في أشد حالات اليأس ..و أدركت لماذا اعترف "**لورنس**" بارتكاب تلك الجريمة البشعة ..

لقد كذب بشهامة ، لإنقاذ المرأة التي يحبها .

وقبل أن نغادر مركز البوليس ، التفت "**ملشيت**" إلى المفتش "**لاندرومي**" ، وقال له بصوت خافت :

– حاول أن تعرف كيف قضى "**لورنس**" وقته قبل الجريمة .. فإن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن الجريمة ارتكبت قبل الوقت الذي ذكره .

ثم نظر إلي ولم يتكلم ، فقدمت إليه رسالة "**آن بورتيرو**" فقرأها ، وبدت على وجهه دلائل الدهشة وقال :

– أهذا ما كنت تلمح إليه صباح اليوم ..؟

– نعم .. ولكني لم أكن واثقا بما يقضي به علي واجبي ..

هل أتكلم أم ألزم الصمت ؟ أما الآن .. فإنني أعرف ما يجب علي عمله .

ووصفت له المشهد الذي رأيته في الحظيرة .

ومن ثم تحدث "**ملشيت**" إلى المفتش مرة أخرى ، وانطلقنا بعد ذلك – ومعنا الدكتور "**هايدوك**" – إلى بيت العقيد "**بورتيرو**" ..

واستقبلنا أحد الخدم ، فطلب إليه "**ملشيت**" أن ينبئ سيدته بأننا نريد مقابلتها، وعاد الخادم بعد لحظات ليقول إن السيدة في انتظارنا .

فقال له "**ملشيت**" :

– إننا بحاجة إلى معلومات عما حدث أمس في هذا البيت ، فأخبرني هل تناول سيدك طعام الغداء هنا ..؟

– نعم يا سيدي .

– هل كان في حالته الطبيعية ..؟

– لم ألحظ عليه شيئا غير عادي .

– وماذا حدث بعد ذلك .؟

– بعد الغداء ، ذهبت سيدتي إلى غرفتها طلبا للراحة .

بينما ذهب العقيد إلى مكتبه ، أما الآنسة "**ليتيسيا**" فإنها استقلت السيارة الصغيرة وانطلقت إلى مباراة التنس ، وفي الساعة الرابعة والنصف ، تناول العقيد

والسيدة "**بورتيرو**" الشاي في قاعة الاستقبال . وأمرا بالسيارة الكبيرة أن تعد في الساعة الخامسة والنصف؛ لأن لديهما عملا في القرية .. وما إن خرجا حتى دق جرس التليفون وكان المتكلم هو سيدي القس .

وأومأ برأسه نحوي فقال "**ملشيت**" :

– متى جاء السيد "**ريدنج**" إلى هذا البيت لآخر مرة ..؟

– بعد ظهر يوم الثلاثاء يا سيدي .

– هل تشاجر مع العقيد ..؟

– أظن ذلك يا سيدي ، فقد أصدر العقيد الأمر بعدم السماح للسيد "**ريدنج**" بدخول البيت بعد ذلك .

– هل سمعت شيئا مما قيل في خلال الشجار ..؟

– كان العقيد يتكلم بصوت مرتفع كعادته ، وكان صوته يزداد ارتفاعا وهو غاضب ، فسمعت بعض الألفاظ .

– هل سمعت ما يكفي لمعرفة أسباب الخلاف ..؟

– أظن أن السبب كان الصورة التي رسمها السيد "**ريدنج**" للآنسة "**ليتيسيا**" .

– هل رأيت السيد "**ريدنج**" عندما غادر البيت ..؟

– نعم .. فقد رافقته إلى الباب .

– هل كان غاضبا ..؟

– كلا . إطلاقا . كان يبدو عليه عدم الاكتراث .

– آه ! وهل عاد إلى البيت بعد ذلك ..؟ هل جاء إلى البيت أي إنسان آخر..؟

– كلا .. لم يأت أحد أمس .

– وأمس الأول ..؟

– أمس الأول .. جاء سيدي القس بعد الظهر ، كذلك جاء الدكتور "**ستون**" ومكث لحظة .. وفي المساء جاءت إحدى السيدات ..

فهتف "**ملشيت**" في دهشة:

– إحدى السيدات ..؟ من هي .؟

فحاول الخادم أن يذكر اسم السيدة ولم يستطع .. قال إنه لا يعرفها ولم يرها قبل ذلك ، وإنها ذكرت له اسمها، وعندما أفهمها أن الأسرة تتناول طعام العَشاء أجابت بأنها ستنتظر ، فذهب بها إلى قاعة الاستقبال . وهو يذكر أنها طلبت مقابلة العقيد شخصيا، ولم تطلب مقابلة السيدة "**بورتيرو**" .. وأنه أنبأ العقيد بعد العشاء فذهب توا إلى حيث كانت السيدة تنتظره .

– كم مكثت السيدة بالبيت ..؟

– نحو نصف الساعة .. وقد رافقها العقيد بنفسه إلى الباب .. آه ! لقد تذكرت الآن اسمها .. إنها تدعى السيدة .. السيدة "**لترانج**" .

فلم نستطع إخفاء دهشتنا، وقال "**ملشيت**" :

– هذا عجيب حقًّا .!

وانتهى الحديث مع الخادم عند هذا الحد ، فقد أرسلت السيدة "**بورتيرو**" من ينبئنا بأنها على استعداد لاستقبالنا .

وكانت "**آن**" في فراشها وهي شاحبة الوجه، لامعة العينين .. وعلى وجهها دلائل الألم والحزن .

قالت تحدثني :

– شكرا على إسراعك بالقدوم .. ومن الواضح أنك فهمت غرضي حين طلبت إليك في رسالتي أن تحضر أحدا. وكفت عن الكلام لحظة ثم عادت فاستطردت قائلة وعلى شفتيها شبح ابتسامة حزينة:

– أظن أنه من الأفضل الانتهاء من هذا الموضوع بأسرع ما يمكن ... أليس كذلك..؟ إنني أتحدث إليك أنت يا عقيد "**ملشيت**" .. أنا التي قتلت زوجي.

فهمس "**ملشيت**" في هدوء وبلهجة من لايصدق ما سمع :

– مسكينة أنت يا سيدة "**بورتيرو**" ..!!

– ولكن تلك هي الحقيقة .. لقد كنت أمقته .. إنني أمقته منذ وقت طويل .. وقد قتلته أمس .

وأدارت رأسها على الوسادة ،وقالت وهي تغمض عينيها :

– هذا كل ما أردت أن أقوله .. إنك ستقبض علي ..أليس كذلك ..؟ سأنهض لأرتدي ثيابي بأسرع ما أستطيع .. ولكنني الآن أشعر بوعكة ..

فقال "**ملشيت**" :

– ألا تعلمين يا سيدتي أن "**لورنس ريدنج**" اعترف بارتكاب الجريمة ..؟

ففتحت عينيها وهزت رأسها بقوة وقالت :

– بل أعلم . ولكنه شاب غبي .. إنه يحبني . وقد كان كرما منه أن يعترف على نفسه ليحميني . ولكن ذلك هو الجنون بعينه .

– هل كان يعلم أنك ارتكبت الجريمة ..؟

– نعم.

– كيف علم ..؟

فترددت ولم تجب . وسألها "**ملشيت**" :

– هل صارحته بذلك ..؟

فبدا عليها التردد مرة أخرى . ثم حزمت أمرها وأجابت:

– نعم .

وهزت كتفيها بعد قليل وقالت :

– ألا تستطيعون الانصراف الآن أيها السادة ..؟ قلت لكم كل شيء .. وليس عندي ما أضيفه .

فسألها "**ملشيت**" بلطف وكأنه لم يسمع :

– ومن أين لك بالمسدس يا سيدتي ..؟

– المسدس..؟ إنه مسدس زوجي .. أخذته من درج مكتبه .

– وحملته معك إلى بيت القس ..؟

– نعم .. كنت أعلم أن زوجي سيكون هناك .

– في أية ساعة حدثت الجريمة ..؟

– بعد الساعة السادسة .. بين السادسة والربع والسادسة و 20 دقيقة .

– هل أخذت المسدس لكي تقتلي به زوجك .؟

– كلا . إنما أخذته لأقتل به نفسي .

– ولكنك ذهبت به إلى بيت القس ..؟

– نعم . اقتربت من باب الشرفة المطلة على الحديقة ولم أسمع أي صوت ، فنظرت إلى الداخل ورأيت زوجي، ولا أعلم ماذا دهاني حين أطلقت الرصاص..

– وبعد ذلك ..؟

– وبعد ذلك انصرفت .

– لكي تروي للسيد "**ريدنج**" ما فعلت ..؟

فأجابت بعد تردد قصير..

– نعم .

– هل رآك أحد عندما دخلت بيت القس ..؟

– كلا .. أو على الأصح .. نعم .. رأتني الآنسة "**ماربل**" .. كانت في حديقتها فتبادلت معها بضع كلمات .

قالت ذلك وحركت رأسها على الوسادة بعصبية وهتفت :

– ألا يكفي هذا ..؟ إنني قلت كل شيء . فلماذا تصر على إزعاجي ..؟

فاقترب منها الدكتور "**هايدوك**" ، وجس نبضها وقال بصوت خافت وهو ينظر إلى "**ملشيت**" :

– سأبقى معها ريثما تتخذ إجراءاتك .. أخشى إذا تركت وحدها أن تؤذي نفسها .

فأومأ "**ملشيت**" برأسه موافقا .

وغادرنا الغرفة ، وشرعنا نهبط السلم ، وحينئذ لمحت خادما نحيفا يخرج من إحدى الغرف ، فعدت إلى ارتقاء السلم بدافع غريزي ، وسألت الخادم :

– هل تعمل في خدمة العقيد منذ وقت طويل ..؟

فبدت الدهشة على وجه الرجل وأجاب بالإيجاب .

فسألته :

– هل تعلم ما إذا كان سيدك يمتلك مسدسا ..؟

– لاأذكر أنني رأيت عنده مسدسا يا سيدي .

– ولا في درج مكتبه ..؟ حاول أن تتذكر .

فهز رأسه بحزم وأجاب :

– لو كان لديه مسدس لرأيته بغير شك .

فهبطت السلم وثبا ولحقت بالعقيد "**ملشيت**" .

كنت واثقا بأن السيدة "**بورتيرو**" قد كذبت فيما يختص بالمسدس .ولكن لماذا..؟

- 9 -

العانس ومدير الشرطة

بعد أن ترك "**ملشيت**" مذكرة في إدارة الشرطة ، أبدى لي رغبته في مقابلة الآنسة "**ماربل**" وقال :

– تعال معي يا عزيزي القس .. فإن وجودك قد يحول دون إصابة هذه العانس بانهيار عصبي .

فكدت أن أقهقه ضاحكا .. ذلك لأنني أعرف أن للآنسة "**ماربل**" القدرة على مواجهة كل بوليس العالم .

سألني ونحن في الطريق إلى بيتها :

– أي نوع من النساء هي ..؟ وهل يمكن الاطمئنان إلى شهادتها ..؟

– أعتقد أن بوسعك أن تثق بأقوالها .. إذا تكلمت عن مشاهداتها . أما استنتاجاتها فمسألة أخرى .. إنها واسعة الخيال وتنظر إلى الأمور من نواحيها السيئة .

فقال ضاحكا :

– مثلها في ذلك مثل سائر العوانس .

وفتحت لنا الباب خادمة في مقتبل العمر ، رافقتنا إلى قاعة استقبال صغيرة..

وقال "**ملشيت**" وهو يجيل الطرف فيما حوله :

– قاعة صغيرة . ولكنها حافلة بالتحف الجميلة ..ما رأيك يا "**كليمنت**" ..؟

وقبل أن أجيب ، فتح الباب ودخلت الآنسة "**ماربل**" ، فقال "**ملشيت**" بعد أن قدمته إليها :

– معذرة عن المضايقة يا سيدتي .. ولكن ما حيلتي ؟ إنه الواجب ..

فقالت :

– لاعليك يا عقيد .. إنني أعرف الظروف .. تفضلا بالجلوس .. هل لكما في شيء من الشراب ؟

فأجاب "**ملشيت**" :

– كلا .. شكرا لك يا سيدتي .. إنني لا أتناول شرابا قبل الغداء .. ولكن لنتحدث في الموضوع .. أعني موضوع ذلك الحادث المؤسف الذي أزعجنا جميعا.. لقد خطر لنا ، نظرا لموقع بيتك وحديقتك ، أنك ربما استطعت إمدادنا ببعض المعلومات .

– الواقع أنني كنت في حديقتي طوال مساء أمس ، ومن الحديقة يستطيع الإنسان أن يرى كل ما يحدث عند الجيران .

– قيل لي إن السيدة "**بورتيرو**" مرت من هنا مساء أمس .

– هذا صحيح ، وقد تحدثت إليها ، وتوقفت قليلا لتعبر عن إعجابها بأزهاري.

– هل في استطاعتك أن تقولي لنا متى كان ذلك ..؟

– كان ذلك في الساعة السادسة و 16 أو 17 دقيقة؛ لأن ساعة الكنيسة دقت الربع قبل ذلك بلحظات .

ثم قالت لي السيدة "**بورتيرو**" إنها ستلحق بزوجها في بيت القس؛ لكي يعودا معا إلى بيتهما . وسلكت الممر الضيق المؤدي إلى الحديقة الخلفية لبيت القس.

– تقولين إنها سلكت الممر الضيق ..؟

– نعم .. تعال وانظر ..

ونهضت بنشاط وسارت بنا إلى حديقتها وأشارت إلى الممر وقالت :

– وهناك طريق آخر يوصل إلى "**القصر القديم**" . (بيت العقيد "**بورتيرو**") . وكانت السيدة "**بورتيرو**" قادمة من طريق القرية .

– هل أنت واثقة بأنها كانت تقصد إلى بيت القس ..؟

– هذا أمر لاشك فيه . فقد رأيتها تنحرف عند ركن البيت .. ومن المحقَّق أن العقيد لم يكن في بيت القس في تلك اللحظة .. لأنني رأيته قادما بعد قليل، أما هي فإنها اجتازت الحديقة وعرجت على الحظيرة .. الحظيرة الصغيرة التي تراها هناك والتي وضعها القس الطيب تحت تصرف السيد "**ريدنج**" .

– هل سمعت صوت طلق ناري يا آنسة "**ماربل**" ..؟

– في ذلك الوقت لم أسمع صوت طلق ناري ..

– هل سمعت صوت طلق في وقت آخر ..؟

– نعم . أعتقد أنني سمعت صوت طلق ناري صادرا من الغابة ..بعد خمس أو عشر دقائق .. ولايمكن أن ..

وصمتت فجأة ، وظهرت على وجهها دلائل التفكير ..

فقال "**ملشيت**" :

– إذن فقد قصدت السيدة "**بورتيرو**" إلى الحظيرة ..؟

– نعم ..إنها دخلت الحظيرة وانتظرت حتى لحق بها السيد "**ريدنج**" الذي جاء من ناحية القرية بعد قليل .. وقد مر من باب الحديقة أمامي ونظر حوله.

– ورآك ؟

– كلا .. لم يكن في استطاعته أن يراني؛ لأنني انحنيت في تلك اللحظة لأنزع عود نبات طفيلي .. وقد قصد هو أيضا إلى الحظيرة .

– ألم يقترب من البيت .؟

– كلا قصد إلى الحظيرة مباشرة، وخرجت السيدة "**بورتيرو**" لاستقباله عند الباب ثم دخلا الحظيرة معا .

قالت ذلك وصمتت .وكان لصمتها مغزاه .

فقلت بشيء من الخجل:

– لعله كان يرسم صورة لها ..

– ربما .

– ومتى غادرا الحظيرة ..؟

– بعد نحو عشر دقائق .

– بالتحديد ..؟

– لقد دقت الساعة وقتئذ النصف بعد السادسة . وعندما كانا يسيران في الممر الضيق لحهما الدكتور "**ستون**" ، و كان يمشي في الطريق إلى "**القصر القديم**" ، فوثب فوق أكوام القش وانضم إليهما .. وأعتقد أنهم قابلوا الآنسة "**كرام**" .بعد قليل .. نعم . لابد أنها كانت الآنسة "**كرام**" .. فهي وحدها التي ترتدي ثيابا قصيرة في هذه الناحية .

– لابد أن لك قوة إبصار رائعة لكي تتبيني الأشياء من هنا يا آنسة "**ماربل**" ؟

فأجابت في هدوء :

– الواقع أنني كنت أرقب أحد الطيور الصغيرة بمنظاري .

– ولكن مادمت قوية البصر إلى هذا الحد ، فهل لاحظت سلوك السيدة "**بورتيرو**" و "**ريدنج**" عندما مرا على مقربة منك ..؟

– كانا يتحدثان ويضحكان . ويبدو عليهما أنهما سعيدان بوجودهما معا .

– ألم تلاحظي عليها دلائل القلق وانشغال البال ؟

– قط .. بل العكس هو الصحيح .

– هذا عجيب ..!

وهنا أدهشتنا الآنسة "**ماربل**" إذ قالت بهدوء غريب :

– هل اعترفت السيدة "**بورتيرو**" بارتكاب الجريمة ؟

فهتف "**ملشيت**" :

– كيف علمت ..؟

– ذلك ليس سوى استنتاج .. ولا بد أن تكون تلك العزيزة "**ليتيسيا**" قد استنتجت ذلك أيضا ، فهي فتاة ذكية ..

إذن فقد اعترفت "**آن بورتيرو**" بقتل زوجها ..؟ أنا لا أصدق أنها قالت الحقيقة .. إن امرأة مثلها .. ولكن من يدري .. إن الإنسان لم يعد يثق بشيء على الإطلاق .. ماذا زعمت عن وقت حدوث الجريمة ..؟

– قالت إنها ارتكبتها في الساعة السادسة و 20 دقيقة .. عقب مقابلتك مباشرة.

فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها ببطء وحزن وكأنها تقول : " مما يؤسف له أن يكون هذان الرجلان من الغباء بحيث يصدقان هذا الزعم " .!!

ثم سألت :

– بماذا ارتكبت الجريمة ..؟

– بمسدس ..

– أين وجدته ..؟

– أحضرته معها ..

فصاحت الآنسة "**ماربل**" بحزم :

– غير صحيح .. أقسم إنها لم تكن تحمل سلاحا .

– لعلك لم ترَيْه ..

– بل كان يجب أن أراه .

– لعلها كانت تخفيه في حقيبتها ..؟

– لم تكن معها حقيبة .

– إذن لعلها أخفته في ثيابها .

– يا عزيزي العقيد "**ملشيت**" .. ألا تعرف كيف ترتدي الشابات ثيابهن في هذا الزمن ..؟ إنهن لا يخجلن من إبراز كل مفاتن أجسادهن .. وأؤكد لك أن السيدة "**بورتيرو**" لم تكن تخفي سلاحا في ثوبها .

فقال "**ملشيت**" بإصرار :

– ولكنك لا تنكرين أن أقوالها تتفق مع الحقائق .. فقد توقفت الساعة المحطمة عند السادسة والدقيقة 22 ، ثم إن ..

فقاطعته الآنسة "**ماربل**" بأن قالت وهي تنظر إلي :

– ألم تذكر له الحقيقة عن هذه الساعة ..؟

فهتف "**ملشيت**" :

– أية حقيقة ..؟

فذكرت له كيف أننا تعودنا أن نقدم عقربي الساعة 15 دقيقة فصاح :

– ولكن يا عزيزي "**كليمنت**" .. لماذا لم تقل ذلك للمفتش "**لاندرومي**" أمس.؟

– لأنه لم يدعني أنطق بكلمة .

– هذا أمر مضحك .. كان يجب أن تصر .

– حاولت دون جدوى .

– كل هذا يبعث على الحيرة . ولو أن شخصًا ثالثًا جاء الآن وزعم أنه القاتل لذهبت إلى مستشفى الأمراض العقلية .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إذا سمحت لي بأن أبدي رأيا ..

– إنني مصغ .

– إذا قلت للسيد "**ريدنج**" إن السيدة "**بورتيرو**" قد اعترفت ولكنك لم تصدقها.. ثم ذهبت إلى السيدة "**بورتيرو**" وقلت لها إنك تحققت من براءة السيد "**ريدنج**" وإنه لا ضلع له في الجريمة .. فإنهما قد يصارحانك بالحقيقة .

فقال "**ملشيت**" :

– هذا رأي صائب . على الرغم من أنني أعتقد أنه لا يوجد سواهما لديه دافع إلى قتل "**بورتيرو**" .

– اسمح لي بأن أخالفك في ذلك يا عقيد ..

– لماذا ..؟ هل ترتابين في شخص آخر ..؟

– يا إلهي ..!

وبسطت أصابع يديها .. وراحت تحصي عليها ثم قالت :

– يوجد سبعة أشخاص على الأقل كان يسرهم التخلص من "**بورتيرو**" .

– سبعة أشخاص في هذه القرية الصغيرة ..!!

فابتسمت الآنسة "**ماربل**" وقالت :

– يجب أن تلاحظ أنني لم أذكر أسماء ... إن القانون لايرحم في قضايا القذف.

- 10 -

طلق ناري في الغابة

قال "**ملشيت**" حالما غادرنا بيت الآنسة "**ماربل**" :

– هذه العانس تظن أنها تعرف كل شيء ، وأراهن على أنها لم تبارح هذه القرية طول حياتها . فماذا يمكن أن تعرف عن الحياة ..؟

فقلت له :

– إنها قد لاتعرف شيئا عن الحياة بمعناها العريض ، ولكنها تعرف كل ما يحدث في القرية .

ولم يسع "**ملشيت**" إلا الاعتراف بأن الآنسة "**ماربل**" كانت خير شاهد لمصلحة السيدة "**بورتيرو**" ولكنه قال :

– هل أنت واثق بأننا نستطيع الاطمئنان إلى توكيداتها ..؟

– كل الثقة . ومتى قالت الآنسة "**ماربل**" إن السيدة "**بورتيرو**" لم تكن تحمل مسدسا، فصدِّقها ، ولوكان لديها أي شك في هذا الصدد لأثارته بكل قوة .

– هذا صحيح . ولعل من الأفضل الآن أن نرى الحظيرة بأنفسنا ..

كانت الحظيرة عبارة عن غرفة صغيرة خالية من النوافذ ، يتدلى من سقفها مصباح ..

وفحصها "**ملشيت**" بعناية ثم قال إنه سيعود مرة أخرى ومعه "**لاندرومي**" .

وتركني ومضى ، وما إن دخلت البيت حتى سمعت لغطا ففتحت الباب، ورأيت

الآنسة "**كرام**" جالسة على الأريكة جنبا إلى جنب مع "**جريزلدا**" .

هتفت الفتاة حالما بصرت بي :

– طاب يومك يا سيد "**كليمنت**" ..

واستطردت قائلة على الأثر :

– كل هذه التفصيلات عن مصرع العقيد تدعو إلى الأسى حقًّا .. مسكين ذلك الرجل ..!!

فقالت "**جريزلدا**" :

– لقد جاءت الآنسة "**كرام**" حالما سمعت بالنبأ .

فقالت الفتاة :

– من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالفضول إلى معرفة ظروف حادث مخيف كهذا .. إن وظيفتي مسلية إلى حد ما، والدكتور "**ستون**" رجل لطيف ولكني أشعر بالضجر أحيانا ..وفتاة مثلي من حقها أن تبحث عن شيء من التسلية والترفيه خارج دائرة عملها .. والواقع .. أنه باستثنائك أنت يا سيدة "**كليمنت**" .. فإنه لايوجد في هذه القرية المقفرة سوى حفنة من العجائز الثرثارات...

فقلت :

– بل توجد أيضا "**ليتيسيا بورتيرو**" ...

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

– إن "**ليتيسيا**" تشمخ بأنفها ولاتتنازل للنظر إلى فتاة مثلي تكسب قوتها بعرق جبينها ، ومع ذلك فقد سمعتها تتحدث عن رغبتها في مزاولة عمل ما . ولكن ماذا في استطاعتها أن تفعل إلا أن تعمل عارضة أزياء .؟

فقالت "**جريزلدا**" :

– الواقع أنها غاية في الرشاقة وتصلح عارضة أزياء ممتازة . ولكن متى تحدثت عن رغبتها في البحث عن عمل ..؟

– لست أذكر تماما .. أعتقد أنها لم تكن سعيدة في حياتها مع زوجة أبيها..

– هل يروقك العمل مع الدكتور "**ستون**" ..؟ إذا كانت لك دراية بعلم الآثار فمن المحقق أنك ستجدين العمل معه ممتعا .

– إن درايتي بعلم الآثار محدودة ، والواقع أنني أجد من المضحك أن يقضي الإنسان حياته في نبش قبور أناس ماتوا منذ مئات السنين . ولكن الدكتور يحب هذا العمل ويستغرق فيه إلى حد نسيان الطعام والشراب .

– هل ذهب إلى الحفريات اليوم ..؟

– كلا .. إنه متوعك ولا يشعر برغبة في العمل؛ ولذلك أجدني حرة اليوم .

فقلت :

– يؤسفني أن أعلم أنه مريض .

– إنها ليست سوى وعكة . ولا أعتقد أن القرية ستفقد رجلين في يومين متواليين. ولكن حدثني يا سيد "**كليمنت**" ..

قيل لي إنك قضيت ساعات الصباح مع المحققين .. فما رأيهم في الحادث..؟

– إنهم لم يصلوا بعد إلى نتيجة .

– إذن فهم لا يعتقدون أن "**لورنس**" هو القاتل ..؟ ياله من شاب وسيم !! إن من ينظر إليه يخاله من نجوم السينما، ثم إن له ابتسامة رائعة . الحقيقة أنني لم أصدق أذني حين قيل لي إنه اعتقل .. وزاد اعتقادي حينئذ بأن رجال الشرطة ليسوا إلا حفنة من المغفلين ..

– ليس لأحد أن يلومهم هذه المرة؛ لأن السيد "**ريدنج**" هو الذي أسلم نفسه إليهم ..

– مسكين ..!!

لو أنني ارتكبت جريمة قتل لما سلمت نفسي إلى البوليس .. كنت أظن "**لورنس**" أعقل من ذلك ..!! هل ذكر لماذا قتل "**بورتيرو**" ..؟

فأجبتها :

– لم يثبت أنه قتله .

– إذا كان قد اعترف فلابد أنه يعرف السبب .

– إن الشرطة لم تقتنع باعترافه .

– إذن لماذا اعترف بجريمة لم يرتكبها ..؟

ولم أشأ أن أشبع فضولها في هذا الصدد وأجبتها :

– يحدث غالبا في مثل هذه الظروف أن تتلقى الشرطة رسائل من أناس يتهمون أنفسهم على هذا النحو .

فقالت الفتاة باحتقار :

– هذا جنون ..

ثم تنهدت وقالت :

– أظن أنني يجب أن أذهب الآن .

ثم استطردت قائلة :

– سيدهش الدكتور "**ستون**" متى علم أن "**لورنس**" اعترف بارتكاب الجريمة... إلى اللقاء .

✽✽✽✽✽

قالت "**جريزلدا**" بعد انصراف الفتاة :

– لست أراها من السوء كما يصفونها .. إنها فتاة بدينة مرحة لايستطيع الإنسان أن يكرهها .. والآن يا "**ليونارد**" .. يجب أن تذكر لي كل ما تعلمه ..

فرويت لها أحداث الصباح، وقاطعتني مرارا للتعبير عن دهشتها أو استنكارها.. وأخيرا قالت :

– إذن كان "**لورنس**" مولعا بـ "**آن**"، وليس بـ "**ليتيسيا**" كما توهمنا .. ما أشد غباءنا .! لابد أن ذلك ما ألمحت إليه الآنسة "**ماربل**" ..؟

فأجبت وأنا أشيح بوجهي :

– نعم .

وهنا دخلت "**ماري**" وقالت تحدثني :

– بالباب رجلان يقولان إنهما صحفيان .. فهل تريد مقابلتهما ..؟

– كلا، بتاتا . .ابعثي بهما إلى المفتش "**لاندرومي**" بمركز الشرطة ، ومتى فرغت منهما فعودي إلي ، فإني أريد أن أستفسر عن أمر .

فهزت رأسها وخرجت . .

وعادت بعد قليل وهي تقول :

– لقد تخلصت منهما بصعوبة .

– يجب أن تتوقعي مزيدا من هذه المضايقات يا "**ماري**" والآن حدثيني . هل أنت واثقة تماما بأنك لم تسمعي صوت طلق ناري . .؟

– الطلق الذي قتل العقيد .؟ أنا واثقة بأنني لم أسمعه . . وإلا لأسرعت إلى الغرفة لمعرفة ما حدث .

وهنا تذكرت ما قالته الآنسة "**ماربل**" من أنها سمعت طلقا ناريا صادرا من ناحية الغابة فسألت "**ماري**" :

– ألم تسمعي صوت طلق ناري صدر من جهة أخرى كالغابة مثلا .؟

– آه ! تذكرت الآن . .نعم . . سمعت صوت طلق واحد .

– كم كانت الساعة . .؟

– الساعة . .؟

– نعم . . الساعة .

– لا أستطيع تحديد الوقت بالضبط . كان ذلك موعد الشاي على كل حال .

– حاولي أن تتذكري . .

– كلا . . لاأستطيع. إن الأعمال المنزلية كثيرة، وليس لدي متسع من الوقت للنظر إلى الساعة في كل لحظة . . ثم إن ساعة البهو معطلة . . وساعة المكتب ليست مضبوطة .

– حسنا ، شكرا لك . .

وانصرفت الخادمة ، فقلت أحدث "**جريزلدا**" :

– من الغريب حقًّا أن يتفق الجميع على أن الطلق الناري صدر من الغابة .

فقالت "**جريزلدا**" :

– لاغرابة في ذلك .. فالناس يسمعون كل يوم طلقات بنادق صادرة من الغابة، حتى أصبحوا يتصورون كلما سمعوا طلقة أن مصدرها الغابة .

وفي هذه اللحظة فتح الباب مرة أخرى ودخلت "**ماري**" .

قالت :

– العقيد "**ملشيت**" ومفتش البوليس يطلبان مقابلتك .. إنهما ينتظرانك في قاعة الكتب .

- 11 -

العدو الخفي

لاحظت من أول نظرة أن الرجلين ليسا على وفاق، فقد كان "**ملشيت**" محتقن الوجه بينماكان "**لاندرومي**" متجهما .

قال الأول يحدثني :

– يؤسفني أن أقول لك إن "**لاندرومي**" لايتفق معي في الرأي بشأن مركز "**لورنس ريدنج**" في القضية .

فقال المفتش :

– إذا لم يكن هو القاتل ، فلماذا سلم نفسه واعترف ..؟

– تذكر أن السيدة "**بورتيرو**" قد فعلت المثل يا "**لاندرومي**" ..

– ولكن الأمر يختلف .. إنها امرأة ، والنساء يتصرفن دائما بغباء . ثم إنني لم أصدق كلمة واحدة مما قالته . إنها علمت أن "**لورنس**" متهم فاخترعت هذه الحكاية ..وهذه لعبة ألفناها .. إنك لا تستطيع أن تتصور مدى خداع النساء . ولكن الأمر يختلف مع "**لورنس**" – إنه شاب حصيف متزن ، وإذا قال إنه القاتل فيجب أن نصدقه ..

إن موضوع المسدس هو الذي يحيرك . أما الدافع إلى الجريمة فقد عرفناه بفضل السيدة "**بورتيرو**" .. لقد كان الدافع هو نقطة الضعف الوحيدة في موقفنا حيال

"**لورنس**" . .ولكنه لم يعد كذلك الآن .

– أتعني إذن أنه ارتكب الجريمة قبل الساعة السادسة والنصف . .؟

–كلا . . ذلك مستحيل .

– هل تحققت كيف قضى وقته قبل الجريمة . .؟

– إنه كان في القرية على مقربة من الفندق في الساعة السادسة والنصف ومن هناك ذهب إلى الحظيرة ثم غادرها مع السيدة "**بورتيرو**" بعد الساعة السادسة والنصف بقليل .

وسارا في الطريق إلى القرية ، فقابلهما الدكتور "**ستون**" ، وقد أكد لي الدكتور ذلك بنفسه لأنني سألته ... وبعد أن تحدث الثلاثة لحظة أمام مبنى مكتب البريد ، ذهبت السيدة "**بورتيرو**" إلى الآنسة "**هارتنل**" لكي تستعير منها مجلة "فلاحة البساتين" . . وقد تحققت من ذلك بنفسي حين قابلت الآنسة "**هارتنل**" التي قالت لي : إن السيدة "**بورتيرو**" مكثت عندها حتى الساعة السابعة، ولم تنصرف إلى بيتها إلا عندما سمعت دقات الساعة ، وقالت وهي تنهض : "لم أكن أظن أن الوقت متأخر إلى هذا الحد" .

– وكيف كانت حالها في ذلك الوقت . .؟

– قالت لي الآنسة "**هارتنل**" إنها كانت طبيعية جداً . .بل سعيدة . . ولا يبدو عليها أي أثر للهم أو القلق .

– حسنا . . امض في حديثك .

– أعود الآن إلى "**لورنس ريدنغ**" . إنه رافق الدكتور "**ستون**" إلى الفندق وتناول معه شرابا ، ثم غادر الفندق في الساعة السادسة و 40 دقيقة وسار في الطريق إلى بيت القس ، ولاحظ كثيرون أنه كان يوسع الخطى.

– الم يسلك طريق الممر الصغير هذه المرة . .؟

– لا . . وإنما دخل من الباب الرئيسي وطلب مقابلة القس فقيل له إن "**بورتيرو**" ينتظره بالمكتب فأجاب بأنه سيذهب إليه . . وهناك قتله بالطريقة التي رواها . .

هذه هي ظروف الجريمة بالكامل .

فهز "**ملشيت**" رأسه وقال :

– ولكنك لا تستطيع تجاهل شهادة الدكتور "**هايدوك**" الذي أكد أن الجريمة لا يمكن أن تكون قد ارتكبت بعد السادسة والنصف .

فقلب المفتش شفته وقال باحتقار :

– ومن ذا الذي يأبه بكلام الأطباء ..؟ إنهم يقولون لك إنك مصاب بالتهاب الزائدة الدودية ويشقون بطنك ثم يعتذرون لك بأنهم أخطأوا .

– كلا يا "**لاندرومي**" .. إن المسألة هنا ليست مسألة خطأ في التشخيص . لقد كان "**هايدوك**" واثقا بكلامه ، ولا يمكنك بحال أن تستريب في مضمون تقرير طبي .

وهنا تذكرت أمرا فقلت :

– ثمة حقيقة قد تكون لها أهميتها .. عندما لمست الجثة كانت باردة تماما .. وأستطيع أن أقسم على ذلك .

فهتف "**ملشيت**" بلهجة الانتصار :

– أرأيت ..؟ إن هذا يحسم الأمر ، وليس أمامنا الآن إلا أن نبدأ من البداية .

فالتفت المفتش إلي وقال :

– لماذا لم تصارحني بموضوع الساعة في الوقت المناسب .؟ إنك ضللت العدالة وتركتني أسير في طريق خطأ .

فتملكتني الدهشة وقلت :

– إنني حاولت ثلاث مرات ولكنك لم تسمح لي بالكلام .

– لو كنت صادق النية لأصررت على الكلام ..

لقد كان الوقت المسجل على الرسالة يتفق مع الوقت الذي يشير إليه عقربا الساعة .. ولكنك صارحت العقيد "**ملشيت**" بانك تعودت تقديم العقربين 15 دقيقة . لماذا كنت تفعل ذلك ..؟

فقال "**ملشيت**" :

– على كل حال لا جدوى من مناقشة هذا الموضوع الآن ..

إن ما يهمنا الآن هو التحقق من صدق أقوال "**لورنس ريدنج**" والسيدة "**بورتيرو**" .. ولقد اتصلت بالدكتور "**هايدوك**" وطلبت إليه الحضور مع السيدة "**بورتيرو**" .. وسيكونان هنا في خلال ربع الساعة .. سأتصل الآن بمركز الشرطة لإحضار "**لورنس**" فورا .

وتناول السماعة ، وأصدر تعليماته لمركز البوليس ، ثم قال وهو يضع السماعة :

– أظن أنه يحسن بنا أن نباشر عملنا فورا في هذه الغرفة .

ونظر إلي فقلت :

– هل ترى من الأفضل أن أغادر المكان ..؟

وما كدت أصل إلى الباب حتى صاح بي "**ملشيت**" :

– أرجو أن تعود عندما يحضر "**لورنس**" . إنك من أصدقائه وربما استطعت التأثير فيه لكي يصارحنا بالحقيقة .

ووجدت زوجتي تتحدث إلى الآنسة "**ماربل**" ، وكان حديثهما يدور حول الجريمة ، فقلت للآنسة "**ماربل**" :

– كم أود أن تذكري لي أسماء الأشخاص السبعة الذين ترتابين فيهم ..

– أنا أرتاب في سبعة أشخاص ..؟

– نعم ، أنت قلت إن في استطاعتك أن تحصي سبعة أشخاص يسرهم أن يموت العقيد .

– أنا قلت ذلك ..؟ آه ! نعم .

– أصحيح ذلك إذن ..؟

– بالتأكيد صحيح . ولكن يجب ألا أذكر الأسماء .. في مقدورك أنت أن تعرفهم بسهولة .

– هذا مستحيل .. إنني لا أعرف سوى "**ليتيسيا**" ، فهي الوحيدة التي تفيد من موته بصفتها وريثته ، ولكن من غير المعقول أن تقدم "**ليتيسيا**" على ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة .

فتحولت الآنسة "**ماربل**" إلى "**جريزلدا**" وسألتها :

– وأنت أيتها العزيزة ..؟

– أنا لا أظن أن "**لورنس**" ارتكب الجريمة . وكذلك "**آن**" .. أما "**ليتيسيا**" فإنها فوق الشبهات بصفة قاطعة ..ولكن لابد أن يكون هناك دليل ما يرشد إلى الفاعل.

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– توجد تلك الرسالة .. ولكنها لاتفيدنا بشيء .

فقلت :

– على العكس . إنها حددت لنا الوقت الذي حدثت فيه الوفاة ..

فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها وقالت :

– إن ما حيرني منذ البداية هو مضمون هذه الرسالة .

– إن مضمونها واضح .. فقد ذكر فيها العقيد أنه لايستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .

– بل قد تضمنت الرسالة شيئا آخر .. تضمنت الكلمات :"الساعة السادسة والدقيقة العشرون" !! لقد ذكرت له خادمتك أنك لن تعود قبل الساعة السادسة والنصف ، فقرر أن ينتظرك .. ولكنه في الساعة السادسة وعشرين دقيقة جلس إلى مكتبك، ليكتب لك أنه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .

فنظرت إليها بإعجاب وقد أذهلني ذكاؤها .. إنها اكتشفت أمرا غاب عنا جميعا .. فقد وصل العقيد إلى البيت في الساعة السادسة والربع أو نحو ذلك . وتحدث إلى الخادمة ثم قصد إلى غرفة المكتب وفي نيته أن ينتظر عودتي .. أي أن ينتظر حتى الساعة السادسة والنصف على الأقل ..

قلت لها :

– إن مضمون الرسالة يكون مفهوما ومعقولا لو لم يذكر بها الوقت ..

– تماما ..

واستعرضت الرسالة في ذاكرتي . كانت عباراتها مكتوبة بخط غير واضح .. أما عبارة (الساعة السادسة والدقيقة العشرون) فكانت واضحة تماما ... ومكتوبة بخط يختلف عن الخط الذي كتبت به الرسالة .

قلت :

– لنفترض إذن أن الوقت لم يذكر في الرسالة ..وأن العقيد مكث بالمكتب حتى الساعة السادسة والنصف ، ثم فرغ صبره، فجلس إلى المكتب ، ليكتب أنه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .. وفيما كان يفعل ذلك ...

دخل أحدهم من باب الشرفة ..

فقالت "**جريزلدا**" :

– أو من باب الغرفة ..

– لو أن باب الغرفة فتح لسمعه، وحوَّل رأسه ليرى من القادم .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– أرجو أن تتذكرا أن "**بورتيرو**" كان شبه أصم .

– هذا صحيح .. لو أن الباب فتح لماسمعه .. ولكن مهما تكن طريقة دخول القاتل فلابد أنه تسلل خلف العقيد وقتله ، ثم كتب في الرسالة عبارة (الساعة السادسة والدقيقة العشرون) وحرك عقربي الساعة بحيث يشيران إلى السادسة و22 دقيقة .. وهي فكرة شيطانية عمد إليها للتضليل؛ لأنه يستطيع أن يثبت أنه في تلك الساعة والدقيقة كان في مكان آخر ..

فسألت "**جريزلدا**" :

– إذن كيف يمكن تحديد وقت حدوث الجريمة ..؟

– لقد قال الدكتور "**هايدوك**" : إنها ارتكبت في وقت لايتجاوز الساعة السادسة والنصف .. ولكن دعينا نحدد الساعة السادسة و 35 دقيقة كوقت أقصى .. على فرض أن "**بورتيرو**" انتظر خمس دقائق بعد الموعد الذي حددته لعودتي قبل أن يفرغ صبره ..

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– ولكن ذلك الطلق الناري الذي سمعته أنا حوالي الساعة السادسة و 30 دقيقة.. ؟ إنني أذكر الآن أنه كان يختلف عن الطلقات التي تعودت سماعها من الغابة ..

– هل كان أقوى منها ..؟

– كلا . ولكنه كان يختلف على نحو ما .. لا أستطيع تحديده ..

إن عجزها عن تحديد مصدر الطلق الناري ونوعه لم ينتقص من احترامي لها..

وما لبثت أن نهضت قائلة : إنها يجب أن تعود إلى بيتها ، وإنها إنما جاءت؛ لأنها لم تستطع مقاومة إغراء الثرثرة مع "**جريزلدا**" .. فرافقتها إلى الباب الخلفي ، ولما عدت وجدت "**جريزلدا**" مستغرقة في التفكير ، فسألتها :

– ألا يزال موضوع تلك الرسالة يحيرك ..؟

– نعم ..

وهزت كتفيها واستطردت بعد لحظة تقول :

– إنني أعتقد أن شخصا يحقد على "**آن**" حقدا شديدا .

– يحقد عليها ..؟

– نعم .. ألم تدرك ذلك ..؟ إن "**لورنس**" لا يوجد ضده أي دليل سوى اعترافه بأنه جاء إلى هنا . ولولا ذلك ما فكر أحد في اتهامه . أما "**آن**" فإن أمرها يختلف.. هب أن شخصا علم أنها كانت هنا في الساعة السادسة و 20 دقيقة، وهو الوقت الذي ذكر في الرسالة وحدده عقربا الساعة المحطمة ..!! الرأي عندي أن من كتب وعبث بعقربي الساعة .. إنما فعل ذلك لغرض واحد هو توريط "**آن**" واتهامها بارتكاب الجريمة . ولولا شهادة الآنسة "**ماربل**" بأنها لم تكن تحمل مسدسا وأنها قصدت توا إلى الحظيرة ، لدمرها الاتهام ..إن لها عدوا يمقتها أشد المقت يا "**ليونارد**" .

- 12 -

القضية تتعقد

عندما وصل "**لورنس**" إلى الحظيرة ، أرسل "**ملشيت**" في طلبي ، فوجدت "**لورنس**" كالح الوجه، بادي القلق .. وكان "**ملشيت**" يعامله برفق ومودة .. قال

له :

– إننا استقدمناك إلى هنا لكي نلقي عليك بعض الأسئلة .

فمرت على شفتي "**لورنس**" ابتسامة باهتة وقال ساخرا :

– بل قل إنكم استقدمتموني لإعادة تمثيل الجريمة . .الأسلوب الفرنسي في تحقيق الجرائم .

– أصغ إلي يا بني . ليس من الضروري أن تحدثنا بهذه اللهجة . . لأن كل شيء سيكون على ما يرام . هل تعلم أن شخصا آخر اعترف بالجريمة التي تزعم أنك ارتكبتها . .؟

وكان لهذه الكلمات وقعها الواضح عليه ، فقال بلسان متلعثم :

– هل قلت شخصا آخر . .؟ من ؟ من هو ؟

فقال "**ملشيت**" وهو يتفرس في وجهه :

– السيدة "**بورتيرو**" . .

– مستحيل . .!! إنها لم ترتكب هذه الجريمة . . لم يكن في استطاعتها أن ترتكبها .

– على كل حال نحن لم نصدق قصتها . كما لم نصدق قصتك ، والواقع أن الدكتور "**هايدوك**" قد أكد أن الجريمة لم ترتكب في الوقت الذي ذكرته .

– هل أكد الدكتور "**هايدوك**" ذلك . .؟

– نعم ، وسواء رضيت أم لم ترض فإنك بريء ولا شأن لك بالجريمة . . وكل ما نريده منك الآن هو أن تساعدنا بذكر الحقائق كلها .

فتردد "**لورنس**" لحظة ثم قال :

– هل تقسم لي أنك لم تخدعني ؟ وأنك لاتشك حقًّا في السيدة "**بورتيرو**" . .؟

– أقسم لك .

فتنهد "**لورنس**" وقال :

– الواقع أنني تصرفت بجنون . .وما كان ينبغي أن أرتاب لحظة واحدة في أنها

هي التي ارتكبت الجريمة .

فقال "**ملشيت**" :

– ألا تستطيع أن تكون أكثر وضوحا . . ؟

– إن الأمر بسيط ، فقد قابلت السيدة "**بورتيرو**" بعد ظهرذلك اليوم .

وصمت فقال "**ملشيت**" :

– نحن نعرف كل ذلك ، هل ظننت أن العلاقات العاطفية بينك وبينها ستظل سرا . . ؟ إن الجميع يتحدثون عنها .

– إذن سأذكر لك الحقائق كلها يا عقيد . . . . وعدْت القس بالرحيل عن هذه القرية نهائيا ، وقابلت السيدة "**بورتيرو**" في الساعة السادسة والربع من ذلك المساء وأنبأتها بما قررته ، فوافقت ، وقالت إن ذلك هو الحل الوحيد الملائم . . ثم ودع كل منا الآخر .

وغادرنا الحظيرة ، وانضم إلينا الدكتور "**ستون**" ، و بذلت "**آن**" قصارى جهدها لكي تبدو هادئة ، أما أنا فلم أستطع ورافقت الدكتور "**ستون**" إلى الفندق حيث تناولنا شرابا ، ثم قررت العودة إلى بيتي ، ولكنني ما كدت أصل إلى ركن الشارع حتى عدلت عن فكرتي وخطر لي أن أذهب لمقابلة القس . . فقد كنت بحاجة إلى إنسان أتحدث إليه عما قررته . ولما وصلت إلى بيت السيد "**كليمنت**" ، قالت لي الخادمة : إنه خرج وسيعود بعد قليل، وإن العقيد "**بورتيرو**" ينتظره في المكتب ، فلم أشأ الرحيل على الفور حتى لايظن أنني أتجنب لقاء العقيد . وبذلك قلت للخادمة : إنني سأنتظره وقصدت إلى قاعة المكتب . ودخلت . .

وصمت فقال "**ملشيت**" :

– وماذا حدث بعد ذلك . . ؟

– كان "**بورتيرو**" جالسا إلى المكتب في الوضع الذي رأيتموه ، فاقتربت منه، ولمسته ، فوجدته ميتا . . ووقع بصري على مسدس ملقى على الأرض على مقربة منه . .

فتناولته . . واكتشفت أنه مسدسي .

وكان هذا الاكتشاف صدمة لي ، وخطر لي على الفور أن "آن" ربما أخذته بطريقة ما ، لتنتحر به إذا تعقدت الأمور ووجدت أن حياتها أصبحت لا تطاق . وأنها قد احتفظت به معها في ذلك اليوم .. وجاءت به إلى هنا بعد لقائنا الأخير.. وقد كان من الجنون حقًّا أن أتصور شيئا مخيفا كهذا .. ولكن ذلك ما خطر لي في تلك اللحظة ..

وهكذا وضعت المسدس في جيبي وانطلقت إلى خارج الدار ، وقابلت القس بالباب ، وكان من الطبيعي أن يحدثني عن "**بورتيرو**" فشعرت برغبة لاتقاوم في أن أنفجر ضاحكا .

فقد كان القس هادئا وطبيعيا بينما كنت نهب اضطراب وفزع لاحد لهما .. ولست أذكر تماما ماذا قلت له ولكنني أذكر أن سحنته تغيرت .

وانطلقت أسير على غير هدى .. وأنا في حالة نفسية لاتطاق .. كنت أرى أنه إذا كانت "**آن**" قد ارتكبت هذه الجريمة فانا المسؤول . أدبيا على الأقل .. وكان أن ذهبت إلى مركز البوليس وسلمت نفسي .

وانتهى "**لورنس**" من اعترافه ، وساد صمت عميق ، قطعه "**ملشيت**" أخيرا بقوله :

– أود أن ألقي عليك سؤالا أو سؤالين .. والسؤال الأول : هل حركت الجثة وغيرت وضعها ..؟

– كلا . كان واضحا أن الرجل قد مات .

– هل رأيت على المكتب ورقة تكاد ان تكون مختفية تحت ....

– كلا ..

– ألم تعبث بالساعة ؟

– نعم .. أذكر أنني لاحظت وجودها على المكتب ولكن لم أمسسْها .

– ومسدسك .. متى رأيته آخر مرة ..؟

ففكر "**لورنس**" قليلا وأجاب :

– لا أستطيع أن أذكر بالتحديد .

– أين كنت تضعَه ..؟

– بين عدد من التحف على رف خزانة الكتب بقاعة الاستقبال .

– أكنت تتركه مهملا هكذا ..؟

– الواقع .. أنني لم أكن أفكر فيه، ولم أعره اهتماما .

– هل كان في وسع أي زائر أن يراه ..؟

– لا .

– الا تذكر متى رأيته آخر مرة ..؟

فقطب "**لورنس**" حاجبيه ، وكان من الواضح أنه يحاول أن يتذكر ، وأخيرا قال :

– أكاد أكون واثقا بأنه كان في مكانه أمس الأول ، أو اليوم الذي سبقه . فقد زحزحته من مكانه حينما كنت أبحث عن غليون قديم .

– من دخل قاعة الاستقبال في خلال الأيام الأخيرة .؟

– كثيرون .. إن بيتي لايكاد يخلو من الزائرين .

وقد أقمت حفل شاي أمس الأول حضرته "**ليتيسيا**" ، كما حضره "**دنيس**" وأصدقاؤه .

– من الذي يدير شؤون بيتك ..؟

– سيدة عجوز هي الأم "آرثر" .

– هل تظن أنها تستطيع أن تذكر شيئا عن المسدس ..؟

– لاأعلم .. ربما . ولكنني أعتقد أنها تهتم كثيرا بإزالة الغبار والأتربة .

– هل معنى ذلك أنه كان بوسع أي إنسان أن يأخذ المسدس ..؟

– ذلك رأيي .

وفي هذه اللحظة .. دخل الدكتور "**هايدوك**" والسيدة "**بورتيرو**" .وقد دهشت "**آن**" حينما رأت "**لورنس**" ، أما هو فإنه تقدم خطوة وهو يقول :

– معذرة يا "**آن**" ، فما كان ينبغي أن أتصور شيئا مخيفا كهذا ..

وترددت قليلا ثم نظرت إلى "**ملشيت**" في توسل وقالت :

– هل صحيح ما ذكره لي الدكتور "**هايدوك**" ..؟

– عن براءة السيد "**ريدنج**" ..؟ نعم . إنه صحيح . والآن لنتحدث عن القصة

التي رويتها لنا .. تكلمي يا سيدة "**بورتيرو**" .

فبدت عليها دلائل الحيرة والارتباك .

وقال "**ملشيت**" مشجعا :

– إن ما يهمنا هو معرفة الحقيقة يا سيدة "**بورتيرو**" ..كل الحقيقة .

– سأقولها لك .. أظن أنكم تعلمون الآن أن ..

– نعم ..

– حسنا . إنني كنت على موعد مع "**لورنس**" في الحظيرة في الساعة السادسة والربع . وكنت قد ذهبت مع زوجي بالسيارة إلى القرية لأتسوق .. وهناك تركني قائلا إنه على موعد مع القس .. ولم يكن بوسعي الاتصال بـ"**لورنس**" لأنذره .. وقد أزعجني أن أقابل "**لورنس**" في الحظيرة بينما زوجي داخل البيت .

واحمر وجهها واستطردت قائلة :

– فكرت في أن زوجي ربما لايمكث طويلا ببيت القس ، وأردت أن أتحقق ، فسرت في الممر الخلفي الضيق ، ووصلت إلى الحديقة .. وكنت أظن أن أحدا لم يرني ، ولكني فوجئت بالآنسة "**ماربل**" تستوقفني ، فقلت لها : إنني جئت للبحث عن زوجي .. كان لابد أن أقول لها أي شيء لكي أبرر وجودي هناك . ولكن يبدو أنها لم تقتنع تماما فقد رأيت على وجهها دلائل الريبة .

ومن ثم سرت في الاتجاه إلى غرفة المكتب ، وكنت أمشي بخفة على أمل أن أسمع أصوات حديث في الداخل ، ودهشت حينما لم أسمع شيئا .

ونظرت إلى داخل الغرفة ، ووجدتها خالية وليس بها أحد ، فأسرعت إلى الحظيرة لأقابل "**لورنس**" .

– أتقولين إن الغرفة كانت خالية ..؟

– نعم .. لم يكن زوجي بها .

– هذا عجيب .!

وهنا تدخل "**لاندرومي**" قائلا : إنك لم تريْه ..؟

– نعم .. لم أره .

فهمس "**لاندرومي**" بكلامٍ في أذن "**ملشيت**" . وهز هذا رأسه موافقا وقال :

– هل لك يا سيدة "**بورتيرو**" أن تصوري لنا ما فعلته على وجه الدقة . . ؟

– بكل ارتياح .

ونهضت واقفة ، وفتح "**لاندرومي**" باب الشرفة فخرجت منه وانحرفت نحو اليسار ، بينما طلب إلي "**ملشيت**" أن أجلس إلى المكتب ، ففعلت على كره مني .

وبعد قليل ، سمعت وقع خطوات تقترب في الشرفة ثم تتوقف . . ثم تبتعد .

وحينئذ طلب إلي "**ملشيت**" أن أعود إلى مكاني فأطعت وبعد قليل دخلت السيدة "**بورتيرو**" من باب الشرفة فسألها "**ملشيت**" :

– هل هذا ما فعلته في ذلك المساء . ؟

– نعم .

فقال لها المفتش :

– هل في استطاعتك الآن أن ترشدينا إلى المكان الذي كان يجلس فيه القس عندما نظرت إلى الداخل في التو واللحظة . . ؟

– القس . . ؟ لا أستطيع أن أجيبك . . لأنني لم أره .

فهز "**لاندرومي**" رأسه وقال :

– هذا هو السبب في أنك لم تريْ زوجك في ذلك المساء . فقد كان في الركن جالسا إلى المكتب .

– يا إلهي . . !

وارتسمت في عينيها نظرة ذعر . .

واستأنف المفتش الاستجواب فسألها :

– هل كنت تعلمين أن السيد "**ريدنج**" يمتلك مسدسا . ؟

– نعم . فقد قال لي ذلك في أحد الأيام .

– هل وقع هذا المسدس في يدك في أي وقت . . ؟

فهزت رأسها سلبا :

– لست على يقين . . ولكنني أظن أنني رأيته فوق أحد الرفوف .

– متى ذهبت آخر مرة إلى بيت السيد "**ريدنج**" ..؟

– منذ نحو ثلاثة أسابيع .. ذهبت إليه مع زوجي لتناول الشاي .

– ألم تذهبي إليه بعد ذلك ..؟

– نعم .. إنني لم أتعود زيارته في بيته حتى لايتقول الناس علينا .

فقال "**ملشيت**" :

– اسمحي لي أن ألقي عليك سؤالا آخر .. أين تعودت مقابلة السيد "**ريدنج**" ..؟

فاحمر وجهها مرة أخرى وأجابت :

– كان يأتي إلى البيت ليرسم صورة "**ليتيسيا**" . وكنا أحيانا نتقابل في الغابة .

فهز "**ملشيت**" رأسه وصاحت "**آن**" بصوت متهدج :

– الا يكفي هذا .. ؟ لقد شق علي أن أقول كل هذا ولكنني أقسم إنه لم يكن بيني وبينه ما أخجل من ذكره . كنا صديقين . وتحولت الصداقة إلى حب على الرغم منا .

قالت ذلك ونظرت إلى الدكتور "**هايدوك**" مستنجدة ، وكان الطبيب رجلا رقيق القلب، مرهف الحس فقال :

– أظن أن السيدة "**بورتيرو**" قد قالت ما فيه الكفاية ..

فأومأ "**ملشيت**" برأسه موافقا وقال :

– ليست عندي أسئلة أخرى يا سيدتي . وأنا أشكر لك إجاباتك الصريحة عن أسئلتي .

– هل أستطيع الانصراف ..؟

– وهنا تحول "**هايدوك**" إلي وقال :

– هل زوجتك بالبيت يا "**كليمنت**" ..؟ لاشك في أن السيدة "**بورتيرو**" سيسرها أن تراها .

فأجبته :

– نعم .. إن "**جريزلدا**" هنا ، وستجدها بقاعة الاستقبال .

وغادرت "**آن**" الغرفة مع "**لورنس**" والدكتور "**هايدوك**"، بينما كان "**لاندرومي**" يدقق النظر في الرسالة التي كتبها "**بورتيرو**" قبيل مصرعه ، فانتهزت الفرصة لإطلاعه على وجهة نظر الآنسة "**ماربل**" ، وأصغى إلي المفتش باهتمام كبير ثم قال:

– يُخيَّل إليَّ أن هذه العجوز على حق .. انظر تر أن الخط الذي كتبت به الرسالة يختلف في الواقع عن الخط الذي كتب به الوقت .. فالقلم يختلف ..والحبر يختلف ..

فقال "**ملشيت**" :

– هذا صحيح ، وبهذه المناسبة ، هل فحصت هذه الرسالة لكشف ما عليها من البصمات ..؟

– لاتوجد أية بصمة على هذه الرسالة ، أما المسدس فليست عليه سوى بصمة واحدة ، هي بصمة "**لورنس ريدنج**" . وربما كانت هناك بصمات أخرى على المسدس قبل أن يضعه في جيبه . لكن لايمكن تبينها الآن .

فقال "**ملشيت**" :

– كان مركز السيدة "**بورتيرو**" في البداية سيئا . وكانت الأدلة ضدها أقوى منها ضد "**لورنس**" . ولم ينقذها سوى شهادة الآنسة "**ماربل**" بأنها لم تكن تحمل مسدسا.. بيد أن أعجب ما في الأمر أن أحدا لم يسمع صوت الطلق الناري .. مستحيل ألا يكون أحد قد سمعه . إنني أقترح عليك أن تعيد استجواب الخادمة يا "**لاندرومي**" .

فقلت محدثا المفتش :

– الرأي عندي ألا تسألها عما إذا كانت قد سمعت طلقا ناريا داخل البيت ؛ لأنها ستنكر على الفور ..

والأفضل أن تسألها هل سمعت طلقا صادرا من ناحية الغابة .

فأجاب "**لاندرومي**" بخشونة :

– إنني أعرف كيف أسأل الشهود .

وغادر الغرفة .

قال "**ملشيت**" :

– لقد زعمت الآنسة "**ماربل**" أنها سمعت صوت الطلق الناري ، ولكن في وقت لاحق للجريمة . ونحن يهمنا جداً تحديد الوقت بالدقة . فقد يكون ما سمعته الآنسة "**ماربل**" طلق بندقية صدر من مكان آخر .

– ربما . .

نهض "**ملشيت**" واقفا وقال وهو يذرع أرض الغرفة :

– يخيل إلي أن القضية أصعب وأعقد مما تصورناها في البداية . . فهناك الوقت . والرسالة . . والمسدس . كلها ألغاز تحتاج إلى تفسير .

ثم قال :

– ولكننا سنمضي في القضية إلى النهاية ، ولن نستعين برجال "**اسكتلانديارد**" . إن "**لاندرومي**" رجل مقتدر وقد نجح في كثير من القضايا . ولكن نجاحه في هذه القضية سيكون أعظم انتصار أحرزه في حياته العملية .

– إنني أرجو له النجاح .

– ومن يقطن البيت المجاور . . ؟

– البيت الذي في نهاية الشارع . . ؟ تقطنه السيدة "**برايس ريدلي**" .

– عندما يفرغ "**لاندرومي**" من استجواب خادمتك ، سنذهب لاستجواب هذه السيدة ، لعلها تكون قد سمعت شيئا . . إنها ليست صماء . . أليس كذلك ؟

– إذا وضعنا في الاعتبار الفضائح التي قالت إنها سمعتها ، فلابد أن تكون لها أذن مرهفة .

– إذن فهي الشاهدة التي نحتاج إليها . . ها هو ذا "**لاندرومي**" . .

ودخل المفتش وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه ، ويبدو أن المعركة بينه وبين "**ماري**" كانت عنيفة.

– لقد ظفرت بها أخيرا واستدرجتها إلى الاعتراف بأنها سمعت الطلق الناري في حوالي الساعة السادسة والنصف . . فقد تذكرت أن الساعة دقت النصف بعد السادسة عندما كانت تتحدث إلى بائع السمك . . وأنها سمعت الطلق الناري قبل

ذلك بلحظات .

– هذا حسن . .

فقال "**لاندرومي**" وفي صوته رنة أسف :

– الآن يغلب على ظني أن السيدة "**بورتيرو**" لاعلاقة لها بالجريمة . أولا : لأنه لم يكن لديها متسع من الوقت لارتكابها . . وثانيا : لأن النساء ينفرن عادة من استخدام الأسلحة . . وسلاحهن المفضل هو السم . كلا . إنها لم ترتكب الجريمة ولم تشترك فيها . . . وهذا أمر يؤسف له .

وهنا أعلن "**ملشيت**" رغبته في زيارة السيدة "**برايس ريدلي**" فوافق المفتش . .

وكانت القضية قد بدأت تثير اهتمامي وفضولي فقلت :

– هل تسمحان لي بمرافقتكما في هذه الزيارة . .؟

فوافقا . .

وفتحت الباب خادمة شابة جميلة فسألها "**ملشيت**" :

– هل السيدة "**برايس ريدلي**" بالبيت . .؟

– كلا يا سيدي . .

وصمتت قليلا ثم استطردت قائلة :

– لقد ذهبت لتوها إلى مركز الشرطة .

قال "**ملشيت**" ونحن نعود أدراجنا :

– كل رجائي ألا تكون قد ذهبت إلى مركز الشرطة للاعتراف بأنها هي التي قتلت "**بورتيرو**" .

- 13 -

تهديد

أدهشني أن تطوف هذه الفكرة بخاطر "**ملشيت**" . . ولكني رجحت أن تكون السيدة "**ريدلي**" قد ذهبت إلى مركز الشرطة للإدلاء بمعلومات خاصة بالقضية . .

وعندما وصلنا إلى مركز الشرطة ، وجدنا السيدة "**ريدلي**" تتحدث بحدة إلى أحد رجال البوليس وعلى وجهها دلائل الانفعال .. فاقترب منها "**ملشيت**" وقال وهو يرفع قبعته محييا :

– أظنك السيدة "**ريدلي**" ؟

فقلت أحدثها :

– اسمحي لي أن أقدم إليك العقيد "**ملشيت**" مدير الشرطة ..

فرمقتني بنظرة صارمة وابتسمت للعقيد الذي قال :

– لقد ذهبنا لزيارتك فقيل لنا إنك هنا .

– أحقًّا .؟ يسرني في الواقع أن تبدأ بالاهتمام بما يقع هنا من أحداث تبعث على الخجل ..

فبهتنا جميعا .. إذ لم يكن في جريمة القتل ما يبعث على خجل أحد .

قال "**ملشيت**" :

– هل لديك ما يلقي ضوءا على المأساة ..؟

– إن ذلك من صميم عملكم .. وإلا فلماذا تتقاضون مرتبات من الضرائب التي ندفعها ..؟

– أؤكد لك يا سيدتي أننا نبذل قصارى جهدنا .

فقالت وهي تشير إلى رجل البوليس :

– إذن لماذا رفض هذا الرجل أن يصغي إلي ..؟

فقال رجل البوليس :

– يبدو مما فهمته من كلام هذه السيدة أن بعضهم اتصل بها تليفونيا وقال لها كلاما بذيئا .

فقال "**ملشيت**" :

– آه ! فهمت الآن . إذن فقد جئت لتقديم شكوى ..؟

فصاحت السيدة "**ريدلي**" :

– مثل هذه الأمور يجب ألا تحدث .. يطلبك بعضهم بالتليفون ثم يهينك

وأنت في عقر دارك .. حقًّا لقد ضاعت الأخلاق منذ إنهاء الحرب .

– ذلك رأيي أيضًا يا سيدتي .. ولكن ماذا حدث .؟

– طلبني بعضهم بالتليفون .

– متى ..؟

– أمس مساء . حوالي الساعة السادسة والنصف ، فتناولت السماعة . وإذا بأحدهم يسبني ويهددني ..

– ماذا قال بالضبط ..؟

فاحمر وجهها وأجابت :

– قال كلاما أخجل من ذكره ..

– هل تلفظ بعبارات مهينة ..؟

– قال إنني امرأة سوء أعيش على الثرثرة والنميمة وإنه سيطلب إلى "**اسكتلانديارد**" أن تطاردني ثم قهقه ضاحكا .

فعض "**ملشيت**" شفته ليخفي ابتسامة . وقال :

– وقد استولى عليك الرعب بطبيعة الحال .

– الواقع أنني ذعرت ، ولكنني استجمعت قواي وسألته : من يكون ؟ فأجاب الصوت : "أنا المنتقم" .. وضحك مرة أخرى ووضع السماعة . فاتصلت بمكتب التليفون لأسأل عن رقم التليفون الذي صدرت منه المكالمة ، ولكنني لم أصل إلى نتيجة .

– هل كان صوت رجل أم امرأة ..؟

– لاأعلم . كان بين .. بين . وكان واضحا أن المتكلم يحاول تغيير صوته . وقد كدت أصاب بانهيار عصبي إلى الحد الذي جعلني أثب من مكاني عندما سمعت صوت طلق ناري صدر من الغابة .. وفي استطاعتك أن تدرك كيف قضيت ليلة أمس .

فقال "**لاندرومي**" باهتمام :

– تقولين إنك سمعت صوت طلق ناري ..؟

– لقد خيل إلي وأنا في تلك الحال أنها طلقة مدفع ، فصرخت وسقطت على الأريكة .

– هذا مزعج حقًّا .. وكم كانت الساعة وقتئذ ..؟ يجب أن نعرف الوقت حتى يتسنى لنا تعقب المكالمة التليفونية .

– كان حوالي السادسة والنصف .

فقال "**ملشيت**" :

– الآن بوسعك أن تطمئني .. فسنبحث عن المتكلم ولابد أن نجده .

*****

وانصرفت السيدة وقال "**لاندرومي**" :

– لدينا الآن ثلاثة شهود سمعوا الطلق الناري ، وعلينا الآن أن نعرف من أطلقه.. لقد ضللنا السيد "**ريدنج**" باعترافه الزائف ويجب علينا الآن أن نبدأ من البداية ، وأول ما يجب عمله هو البحث عن مصدر تلك المكالمة التليفونية الغريبة الخاصة بالسيدة "**برايس ريدلي**" ؟ .

سنبحث عن هذه أيضا، و إلا ضايقتنا تلك المكالمة الغريبة التي تلقاها القس.

فقال "**ملشيت**" :

– نعم .. ذلك مهم جداً .

– وعلينا بعدذلك أن نعرف كيف قضى كل إنسان في "**القصر القديم**"، بل في القرية كلها وقته بين الساعتين السادسة والسابعة من مساء أمس .

فهتفت قائلا :

– سيتطلب ذلك مجهودا كبيرا أيها المفتش .

– إنني مولع بالمهام الشاقة ..

ثم استطرد قائلا :

– وسنبدأ الآن بسؤالك أنت أيها القس .

فأجبت :

– بكل سرور . . إنني تلقيت المكالمة التليفونية حوالي الساعة الخامسة والنصف .

– هل كان المتكلم رجلا أو امرأة ؟

– امرأة . . وقد ظننت أنها السيدة "**أبوت**" .

– هل كان الصوت صوتها ؟

– كلا . والواقع أنني لم أهتم وقتئذ بمعرفة من المتكلم .

– وهل ذهبت إلى مزرعة "**أبوت**" على الفور . .؟

– نعم .

– سيرا على قدميك . .؟ هل لديك دراجة . .؟

– كلا .

– كم تبلغ المسافة إلى المزرعة . .؟

– نحو ثلاثة كيلو مترات من أي طريق .

– ولكن أقصر طريق هو الطريق الذي يمر بـ"**القصر القديم**"، قصر العقيد "**بورتيرو**" .

– نعم إنه أقصر الطرق. ولكنه ليس أفضلها . وقد سلكت في الذهاب والعودة الممر الضيق عبر الحقول .

– تعني الممر الذي ينتهي عند السور الخلفي لحديقتك؟

– نعم .

– وأين كانت زوجتك في ذلك الوقت . .؟

– كانت في "**لندن**" ، وعادت بقطار الساعة السادسة و الدقيقة الخمسين .

– بحسبي هذا الآن . . . . ولقد استجوبت خادمتك، وبذلك تكون مهمتي هنا قد انتهت . وسأذهب الآن لاستجواب أهل "**القصر القديم**" ، لابد لي كذلك من التحدث إلى السيدة "**لترانج**" ، فإنها ذهبت لمقابلة "**بورتيرو**" قبيل مصرعه .

وكان موعد الغداء قد حان فدعوت "**ملشيت**" لتناول الطعام معنا ، ولكنه اعتذر ومضى مع المفتش .

- 14 -

رسالة

كنت في طريقي إلى البيت لأتناول الغداء عندما مر بي الدكتور "**هايدوك**" بسيارته وقال وهو يمضي في طريقه :

– لقد أوصلت السيدة "**بورتيرو**" إلى بيتها ..وحين دنوت من بيته ، وجدته ينتظرني بالباب ، ودعاني إلى الدخول ، فدخلت.

قال وهو يمضي بي إلى قاعة العمليات :

– إنها قضية عجيبة .. أليست كذلك ..؟

وخلع قبعته ، وتهالك على مقعد قديم من الجلد ، وكانت تبدو عليه دلائل التعب والحيرة .. فقصصت عليه كيف توصلنا إلى تحديد وقت انطلاق الرصاصة وأصغى إلي وهو شارد الفكر ثم قال :

– إذن فلا صلة لـ"**آن بورتيرو**" بالجريمة ..؟ يسعدني أن أعلم أنها بريئة .. وأن "**لورنس**" بريء كذلك ... فإنني أحبهما .

وكنت واثقا بأنه يحبهما .. ولكنه كان متجهما وحزينا حتى كدت أن أسأله لماذا ضايقه إطلاق سراحهما .

وأخيرا نهض واقفا وقال :

– أردت أن أحدثك عن "**هاوس**" .. فقد أزعجته هذه الجريمة وأقلقته .

– هل هو مريض ..؟

– إنه ليس مريضا بالمعنى المفهوم .. ولكن هل تعلم أنه أصيب في وقت ما بالمرض المعروف باسم "مرض النوم" ..؟

– كلا .. لاعلم لي بذلك ..وهو لم يحدثني ..ولكن متى أصيب بهذا المرض..؟

– منذ نحو عام ، وقد شفي منه بقدر ما يمكن أن يكون الشفاء . ولكنه مرض فريد يؤثر تأثيرا عجيبا في معنويات المريض . وقد يغير أخلاقه وطباعه تغييرا تاما.

وصمت لحظة ثم قال :

– إننا ننظر الآن بهلع إلى الوقت الذي كانوا يحرقون فيه المتهمين بالسحر والشعوذة .. ولكني واثق تماما بأن يوما ما سوف يأتي، يرتجف فيه الناس هلعا عندما يفكرون في الأسباب التي من أجلها يشنق بعض المجرمين في زماننا هذا .

– يُخيَّل إلي أنك لست من أنصار حكم الإعدام ..

– ليس هذا ما أعنيه ..

وصمت مرة أخرى ثم قال ببطء :

– هل تعلم أيها القس العزيز أنني أفضل رسالتي في الحياة على رسالتك..؟

– لماذا ..؟

– لأن عملك هو التمييز بين الخير والشر ، في حين أنني لست واثقا تماما بوجودهما . وأعتقد أن الناس كثيرا ما يخلطون بين المريض والمجرم . إنهم لايشنقون رجلا مصابًا بالسل الرئوي ..

– بالتأكيد .. لأن مثل هذا الرجل لايضر المجتمع .

– هناك وجهة نظر تقول:" لأنه ضار بالمجتمع فإنه ينشر العدوى" .... ولكن دعنا ننظر إلى رجل آخر يزعم مثلا أنه إمبراطور "**الصين**" .. إنك لا تستطيع أن تعتبره مجرما .. أليس كذلك ..؟ ولكني مثلك أنظر إلى المجتمع وإلى ضرورة حمايته؛ ولذلك أقول اعزلوا أمثال هؤلاء الناس واسجنوهم. ولكن لا تصفوا السجن والعزل بأنه عقوبة ..ولا تجلبوا بذلك العار على العائلات البريئة..

فنظرت إليه في فضول وقلت :

– هذه أول مرة أسمعك فيها تتحدث على هذا النحو .

– ذلك لأنني لم أتعود التحدث عن نظرياتي على مسمع من جميع الناس .. ولكنك رجل ذكي ومثقف وهو ما لا أستطيع أن أصف به جميع رجال الكنيسة.

فقلت له بدوري :

– حدثني يا "**هايدوك**" .. ماذا تفعل إذا ارتبت في أن شخصا بعينه ارتكب جريمة ما ..؟ هل تشي به .. أم تحاول حمايته ؟

وكان السؤال مفاجأة له ، فرمقني في غضب وقال :

– ماذا حملك على إلقاء هذا السؤال يا "**كليمنت**" ..؟ ماذا يدور في رأسك..؟

– لاشيء سوى أننا نتحدث كثيرا عن الجريمة في هذه الأيام ، فأردت أن أعرف كيف تتصرف إذا أتاحت لك المصادفات الفرصة لمعرفة الحقيقة .

فانفثأ غضبه على الفور ، وشرد ببصره في الفضاء وقال بعد قليل :

– إذا عرفت الحقيقة .. فإنني لاأتردد في القيام بواجبي .

– وما هو الواجب من وجهة نظرك ..؟

– هذه مسألة تختلف فيها الآراء يا "**كليمنت**" ..

– صدقت ..

ونظرت إلى ساعتي وقلت :

– آن لي أن أنصرف فقد تأخرت نحو نصف الساعة عن موعد الغداء .

ووجدت زوجتي و "**دنيس**" حول المائدة ، فسألاني عن نشاطي طوال ساعات الصباح ، واهتم "**دنيس**" بموضوع التهديد التليفوني الذي تلقته السيدة "**برايس ريدلي**" ، واستغرق في الضحك حين وصفت سورتها و قال :

– إنها أسوأ الثرثارات جميعا .. وقد لقيت جزاءها .. إنما يؤسفني أنه لم تخطر لي فكرة الاتصال بها تليفونيا وإلقاء الذعر في قلبها .. ما قولك في أن نعطيها جرعة ثانية أيها العم "**ليونارد**" ..؟

فنهيته عن ذلك بشدة ، وقالت زوجتي :

– هل قلت إن المفتش سيبحث عمن اتصل بك تليفونيا، ودعاك للذهاب إلى مزرعة السيد "**أبوت**" ..؟

– نعم .

– إنه لن يعرفه .

– ولم لا .. ؟ إن مكتب التليفون يسجل جميع الاتصالات التليفونية ..

– أحقًا ..؟

وهنا دخلت "ماري" .... قالت :

– السيد "هاوس" يرغب في مقابلتك وقد ذهبت به إلى قاعة الاستقبال ، وجاء رسول يحمل هذا الخطاب وهو ينتظر ردا ولو شفاهة ..

ففضضت الخطاب وقرأت فيه ما يلي :

"عزيزي السيد "كليمنت" ..

أكون شاكرة إذا جئت لزيارتي في أول فرصة بعد ظهر اليوم .. إنني حائرة وأحتاج إلى نصيحتك .." .

المخلصة

"ستيلا لتراغ"

*****

فقلت لـ "ماري" :

– قولي للرسول سأذهب بعد نصف الساعة .

ثم نهضت ، وقصدت إلى قاعة الاستقبال .

- 15 -

المفتش يعود صفر اليدين

وجدت "هاوس" في حالة أحزنتني كثيرا ، كان وجهه شاحبا ،ويداه ترتجفان، وكان ينبغي أن يلزم فراشه ، وقد قلت له ذلك، ولكنه أصر على أنه بصحة جيدة وقال :

– أؤكد لك يا سيدي أنني لم أكن طوال حياتي في صحة أفضل مني الآن ..

ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك ، ولم أجد ما أقوله ، فقد كنت في الواقع أعجب بالرجل الذي يقاوم المرض .. ولكن "هاوس" جاوز في ذلك كل حد .

قال :

– لقد جئت، لأعبر لك عن مدى انزعاجي لوقوع هذه الجريمة المروعة في بيتك.

– الواقع أنها جريمة مزعجة حقًا .

– علمت أنهم أخلوا سبيل السيد "**ريدنج**" ، فهل هذا صحيح ..؟

– نعم .. كان اعترافه غير معقول .

– وهل البوليس مطمئن الآن إلى براءته ..؟

– كل الاطمئنان.

– هل لي أن أسألك لماذا ..؟ أعني هل يرتاب البوليس في شخص آخر ؟

ولم أكن أعتقد أن "**هاوس**" ممن يهتمون بالجرائم ، ولكنني رددت اهتمامه إلى أن الجريمة حدثت في بيتي ، وخيل إلي أن فضوله إلى معرفة الحقيقة لايقل عن فضول مخبري الصحف .

أجبته :

– إن المفتش لا يصارحني بأسرار عمله، ولكنني لا أعتقد أن البوليس يرتاب في شخص بعينه .

– من تظنه أقدم على ارتكاب هذه الجريمة ..؟

فهززت رأسي ولم أجب فقال :

– أعلم أن "**بورتيرو**" لم يكن محبوبا .. ولكن ليس إلى الحد الذي يدعو إلى قتله ... ولابد أن الدافع إلى الجريمة قوي جداً .

– ذلك رأيي أيضا .

– فمن يكون لديه مثل هذا الدافع ..؟

– إن رجلا مثله لابد أن يكون له أعداء ، خاصة أنه اشتهر بصرامة الأحكام التي كان يصدرها في المحكمة .

– أظن ذلك .

– ألا تذكر يا سيدي أنه قال لك بالأمس فقط إن المدعو "**آرثر**" قد هدده ..؟

– نعم ، أذكر ، وقد كنت أنت على مقربة منا عندما قال ذلك .

– هل أفضيت إلى رجال البوليس بأمر هذا التهديد ..؟

– كلا .

– ولكنك ستفعل ذلك بالتأكيد .

فلم أجب .. ذلك لأنني لا أحب اتهام شخص في دوامة من المتاعب مع رجال البوليس .. صحيح أن "آرثر" سارق صيد محترف .. ولكن أمثاله كثيرون في كل مكان .

وإذا كان قد أطلق العنان للسانه في سورة غضبه تحت وطأة الحكم الصارم الذي صدر ضده فليس معنى ذلك بالضرورة أنه أنفذ تهديده .

قلت لـ "**هاوس**" :

– أنت أيضا سمعت حديث "**بورتيرو**" .. فإذا وجدت من واجبك أن تبلغ البوليس فافعل .

– إن أقوالك أنت أثقل وزنا .

– ربما ، ولكني لا أحب أن أساعد على وضع حبل المشنقة حول عنق رجل بريء .

– ولكن هب أنه هو الذي قتل "**بورتيرو**" .؟

– ليس ثمة أي دليل .

– وتهديداته ..؟

– الواقع أن "**بورتيرو**" هو الذي هدده بسوء المصير إذا مثل أمامه مرة أخرى .

فصمت "**هاوس**" ، وخيل إلي أنه لم يقتنع .

كان متوتر الأعصاب بصورة لم أعهدها فيه ، ولكني تذكرت حديث الدكتور "**هايدوك**" عن مرضه والآثار التي تتخلف عنه .

وبعد انصرافه ، قصدت توا إلى بيت السيدة "**لترانج**" ، وتذكرت وأنا أدخل البيت ، أن هذه السيدة قد قابلت العقيد "**بورتيرو**" في الليلة السابقة لمصرعه وتساءلت ، ترى هل تعرف شيئا يمكن أن يلقي ضوءا على الجريمة ..؟ دخلت قاعة الاستقبال ، فنهضت السيدة "**لترانج**" لاستقبالي .

وأذهلني الجو الرائع الذي تحيط به هذه السيدة نفسها .

كانت ترتدي ثوبا أسود يبرز بياض بشرتها العجيب ، وليس في وجهها الهادئ

ما ينم عن حيويتها الدافقة سوى عينيها المتألقتين ..

قالت وهي تمد إلي يدها :

– كان جميلا منك أن تحضر يا سيد "**كليمنت**" . إنني أردت أن أتحدث إليك عندما قابلتك آخر مرة ، ولكنني عدلت عن ذلك، وكنت مخطئة .

– لقد قلت لك عندئذ، ومازلت أقول: إنني في خدمتك .

– نعم . إنك قلت لي ذلك .. تفضل بالجلوس .

فاطعت ، وبدأت تتكلم ببطء ، وكأنها تزن كل كلمة قبل أن تنطق بها . قالت :

– إنني أجد نفسي في مركز دقيق يا سيد "**كليمنت**" وأود أن أعرف رأيك فيما ينبغي لي أن أعمله .. إن ما مضى قد مضى ولا سلطان لنا عليه .. هل تفهمني..؟

وقبل أن أجيب ، فتح الباب ، ودخلت الخادمة، وقالت في ذعر :

– بالباب مفتش بوليس يطلب مقابلتك يا سيدتي .

فلم يطرأ أي تغيير على وجه السيدة "**لترانج**" .. كل ما فعلته أنها أغمضت عينيها ببطء ، ثم فتحتهما . وقالت بصوت هادئ واضح :

– دعيه يدخل يا "**هيلدا**" ..

فهممت بالانصراف ، ولكنها منعتني بحركة من يدها وقالت :

– يهمني أن تكون موجودا إذا لم يضايقك ذلك .

ودخل "**لاندرومي**" وهو يسير بخطى سريعة وبدأ بقوله :

– طاب يومك يا سيدتي .

– طاب يومك أيها المفتش .

وعندئذ وقع بصره علي و قطب حاجبيه .. لم يكن هناك شك في أنه لا يحبني .

قالت السيدة "**لترانج**" .

– أرجو ألا يضايقك وجود القس ..

– كلا .. إنه لا يضايقني .. ولكن من الأفضل ...

فقاطعته دون أن تلقي بالاً إلى اعتراضه :

– ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك أيها المفتش ..؟

– إنني مكلف بالتحقيق في حادث مصرع العقيد "**بورتيرو**" ..

– حسنا .

– ويهمني أن أعرف كيف قضى كل شخص وقته بين السادسة والسابعة من مساء أمس .. إنه ليس سوى إجراء شكلي .

– هل تريد أن تعرف أين كنت أمس بين السادسة والسابعة مساء ..؟

– نعم يا سيدتي .. إذا تفضلت .

– حسنا .

وفكرت قليلا ثم أجابت :

– كنت هنا في البيت .

فلمعت عينا المفتش وقال :

– هل تستطيع خادمتك أن تؤيد ذلك ..؟

– كلا . لأن أمس كان يوم إجازتها الأسبوعية .

– آه !

– يجب – لسوء الحظ – أن تقتنع بكلامي .

– أتزعمين أنك قضيت المساء كله في بيتك ..؟

– إنك سألتني عن الوقت بين السادسة والسابعة مساء أيها المفتش .. أما قبل ذلك فإنني خرجت للنزهة وعدت قبيل الساعة الخامسة .

– حسنا ، ولكن ما قولك في أن إحدى السيدات ، وهي بالتحديد الآنسة "**هارتنل**" ، قررت أنها جاءت لزيارتك حوالي الساعة السادسة ودقت الجرس ولم تتلق جوابا، واضطرت إلى الانصراف .. هل تعتقدين أنها لم تذكر الحقيقة..؟

– على العكس ..

– آه !

– عندما تكون خادمتك في البيت ، فإنها تستطيع أن تقول للزائر غير المرغوب فيه إنك لست موجودا .. أما إذا كنت وحدك في البيت فإن الشيء الوحيد الذي

تستطيع أن تفعله هو أن تدع الزائر يدق الجرس .

فوجم المفتش ، واستطردت السيدة "**لترانج**" قائلة :

– إن أولئك العجائز يضايقنني .. وخاصة الآنسة "**هارتنل**" .. لقد دقت الجرس ست مرات قبل أن تقرر الانصراف .

ونظرت إلى المفتش وعلى شفتيها ابتسامة رائعة .

قال :

– وإذا قرر أحدهم أنه رآك ..؟

فقاطعته :

– لا أحد يستطيع أن يقرر أنه رآني في الخارج لسبب بسيط هو أنني كنت بالبيت .

فأدنى المفتش مقعده قليلا وقال :

– علمت يا سيدتي أنك قمت بزيارة العقيد "**بورتيرو**" في بيته في مساء اليوم الذي سبق مصرعه .

فأجابت السيدة "**لترانج**" في هدوء :

– هذا صحيح .

– هل أستطيع أن أعرف الدافع إلى هذه الزيارة ..؟

– كانت الزيارة لمسألة شخصية .

– أنا آسف ولكن يجب أن أسألك عن طبيعة هذه المسألة .

– وأنا لن أجيبك .. وكل ما أستطيع أن أؤكده لك هو أننا لم نقل في هذه المقابلة كلمة واحدة يمكن أن تكون لها صلة بالجريمة .

– هذا أمر ليس من حقك تقديره .

– على كل حال ينبغي في هذه المرة أيضا أن تقتنع بما أقوله لك .

–يبدو أنني ينبغي أن أقتنع بكلامك في أمور كثيرة .

فأجابت وعلى شفتيها الابتسامة الهادئة نفسها :

– يخيل إلي ذلك .

فصاح المفتش وقد احمر وجهه :

– إننا بصدد جريمة قتل يا سيدة "لترانج" .. ويجب أن أعرف الحقيقة وسأعرفها..

ودق المائدة بقبضة يده ..

ولكن السيدة "لتراثج" لاذت بالصمت فقال المفتش :

– ألا ترين يا سيدتي .. أنك تضعين نفسك في مركز سيئ ..؟

فأصرت السيدة "لتراثج" على الصمت .

قال :

– سوف تُطلبين للإدلاء بأقوالك في التحقيق .

– حسنا .. سوف أدلي بأقوالي في التحقيق .

قالت ذلك بقلة اكتراث ، ولم يجد المفتش بدا من تغيير أسلوبه :

– هل كنت تعرفين العقيد "بورتيرو" ..؟

– نعم ، كنت أعرفه.

– جيدا ..؟

فترددت قليلا قبل أن تجيب :

– إنني لم أره منذ عدة أعوام .

– هل كنت تعرفين السيدة "بورتيرو" ..؟

– كلا .

– معذرة، ولكن يجب أن أقول لك: إن زيارتك كانت في وقت غير مناسب .

– إنني لا أتفق معك في ذلك .

– ماذا تعنين ..؟

فأجابت في وضوح :

– كنت أريد مقابلة العقيد "بورتيرو" وحده ، ولم أكن أريد مقابلة زوجته أو ابنته؛ ولذلك تصرفت على النحو الذي تعرفه .

– لماذا تجنبت مقابلة زوجة العقيد وابنته ..؟

– ذلك شأني .

– أترفضين الإدلاء بمزيد من الإيضاح .

– كل الرفض.

فانبعث المفتش واقفا وقال بحدة :

– إنك تضعين نفسك في مركز حرج يا سيدتي . .فكوني على حذر .

فقهقهت السيدة "**لترانج**" ضاحكة . وشعرت في هذه اللحظة بأنه كان ينبغي لي أن أحذر "**لاندرومي**" وأن أقول له: إن السيدة "**لترانج**" ليست المرأة التي يسهل إرهابها.

قال وكأنما لينقذ ماء وجهه :

– على كل حال قد أعذر من أنذر . . إلى اللقاء يا سيدتي . . وثقي بأننا سنعرف الحقيقة .

وانصرف ، فنهضت السيدة "**لترانج**" ومدت يدها إلي وهي تقول :

– أظن أنه يحسن بك أيضًا أن تنصرف ، فلم تعد بي حاجة إلى نصائحك . . لقد عرفت طريقي . . .

- 16 -

باحثان هاويان

ما كدت أغادر بيت السيدة "**لترانج**" حتى التقيت بالدكتور "**هايدوك**" عند باب الحديقة فسألني وهو يغمز بعينه ويومئ نحو المفتش :

– هل استجوبها . .؟

– لا .

– وهل كان مؤدبا . .؟

والأدب فن يجهله "**لاندرومي**" تماما ، ولكنني لم أشأ أن أوغر صدر "**هايدوك**" عليه ، فأجبته بأن سلوكه كان ممتازا ، وهز "**هايدوك**" رأسه ، ورأيته يدخل

البيت .

أما أنا فقد سرت في الطريق إلى القرية ، وما لبثت أن لحقت بالمفتش الذي يبدو أنه تعمد الإبطاء في سيره ، وعلى الرغم من كراهيته لي ، فإنه لم يكن الرجل الذي يحفل بمشاعره الخاصة . إذا كان الأمر يتعلق بالحصول على معلومات مفيدة .

سألني :

- ماذا تعرف عن هذه السيدة ..؟

- لاشيء .

- ألم تتحدث قط عن الأسباب التي حملتها على الإقامة في هذه القرية ..؟

- نعم، لم تتحدث .

- إنك تتردد عليها بين وقت وآخر .. أليس كذلك ..؟

- إن زيارة رعايا كنيستي هو أحد واجباتي .

ولم أشأ أن أقول له إنها هي التي أرسلت في طلبي .

وصمت المفتش فترة ، ثم قال :

- كل هذا يبدو مريبا .

- ماذا تعني ..؟

- أعني أنه لن يدهشني أن يكون محور القضية كلها هو الابتزاز .

كانت فكرة شاذة لايمكن أن يصدقها أحد ممن يعرفون "**بورتيرو**" .. ومع ذلك فإن كل شيء ممكن ، ولن يكون "**بورتيرو**" أول رجل يعيش حياة مزدوجة . وأذكر ان الآنسة "**ماربل**" قد ألمحت مرة إلى هذا المعنى .

قلت :

- أتظن ذلك ..؟

- إنني لا أظن شيئا .. ولكن القرائن كلها تشير إلى ذلك .. وإلا فلماذا تقدم سيدة مجتمع مثل السيدة "**لترانج**" على دفن نفسها في قرية حقيرة كهذه ؟ ولماذا ذهبت لمقابلة "**بورتيرو**" في وقت غير مألوف ..؟ ولماذا تجنبت مقابلة زوجته وابنته ..؟ إنها عملية ابتزاز ما في ذلك شك، والابتزاز جريمة يعاقب عليها القانون

بصرامة ؛ ولذلك قلما يعترف بها المتهمون ، ولكننا سنعرف كيف نرغمها على الاعتراف ، وإذا ثبت أن في حياة "**بورتيرو**" سرا مشينا وأن هذه السيدة تستعمل هذا السر لابتزاز أمواله فإن التحقيق لابد أن يتجه وجهة جديدة ومختلفة تماماً . وسأذهب الآن لاستجواب الخدم فقد يكون أحدهم قد سمع طرفا من الحديث الذي دار بين العقيد والسيدة "**لتراغ**" .

– سأذهب معك فإنني أريد التحدث إلى السيدة "**بورتيرو**" .

– في أي موضوع ..؟

– في موضوع الجنازة .

– آه ! إن جلسة التحقيق في أسباب الوفاة ستعقد يوم السبت .

– نعم ، وهكذا يمكن تشييع الجنازة يوم الثلاثاء .

❁❁❁❁❁

ويبدو أن المفتش أسف على خشونته معي ، وأراد أن يكتسب مودتي .. فقدم لي غصن الزيتون في شكل دعوة لشهود استجواب سائق السيارة .

وكان السائق شابا وديعا في نحو الخامسة والعشرين ، وقد مثل أمام المفتش، وعلى وجهه دلائل الخوف والرهبة .

وابتدره "**لاندرومي**" بقوله :

– أريد أن أعرف منك بعض المعلومات .. هل أنت الذي قدت سيارة العقيد إلى القرية ..؟

– نعم يا سيدي .

– كم كانت الساعة ..؟

– الخامسة والنصف .

– وهل ذهبت السيدة "**بورتيرو**" مع زوجها ..؟

– نعم يا سيدي .

– هل ذهبتم إلى القرية مباشرة ..؟

– نعم يا سيدي .

– ألم تتوقفوا في الطريق ..؟

– نعم يا سيدي لم نتوقف .

– ماذا فعلتم لدى وصولكم ..؟

– غادر العقيد السيارة قائلا إنه لن يكون بحاجة إلي، وإنه سيعود سيرا على قدميه ، أما سيدتي فإنها تسوقت ووضعت بعض اللفائف في السيارة ، وعدت بمفردي إلى البيت .

– تعني أنك تركت السيدة **"بورتيرو"** في القرية ..؟

– نعم يا سيدي .

– كم كانت الساعة وقتئذ ..؟

– كانت السادسة والربع تماما .

– وأين تركتها ..؟

– أمام الكنيسة يا سيدي .

– هل قال لك العقيد إلى أين سيذهب ..؟

– قال إنه سيذهب إلى الطبيب البيطري بشأن أحد جياده .

– حسنا .. أظن أن هذا يكفي ..آه ! ها هي الآنسة **"بورتيرو"** ..

وأقبلت **"ليتيسيا"** نحونا وهي تسير ببطء وقالت تحدث السائق :

– أرجو أن تعد السيارة فسنخرج بها .

– حسنا يا سيدتي ..

وهرول إلى الخارج ، وهمت **"ليتيسيا"** بأن تتبعه فقال **"لاندرومي"** :

– صبرا لحظة يا آنسة . إنني أسعى إلى معرفة كيف قضى كل إنسان وقته بعدظهر أمس .. فأرجو ألا تجدي في ذلك مساسا بك .

فحملقت إلى وجهه وأجابت :

– إنني لا أعرف في أي وقت فعلت أي شيء .

– أعتقد أنك خرجت بعد الغداء .

فأومأت برأسها علامة الإيجاب .

– وإلى أين ذهبت ..؟

– ذهبت لألعب التنس .

– مع من ..؟

– مع "**هارتلي نابيير**" .

– في "**بنهام**" ؟

– نعم .

– ومتى عدت ..؟

– لا أعلم .. قلت لك إنني لا أذكر شيئا عن الوقت .

فقلت :

– إنك عدت حوالي الساعة السابعة والنصف .

– ربما .. عندما عدت كانت "**آن**" في حالة انهيار عصبي، وكانت "**جريزلدا**" تواسيها .

فقال المفتش :

– سأذهب الآن لاستجواب الخادمات .

وافترقنا ، فذهب هو إلى جناح الخدم بينما صعدت إلى الطابق الأول ، حيث قابلت السيدة "**بورتيرو**" وتحدثنا بشأن الجنازة وفجأة قالت :

– ما أكرم صديقك الدكتور "**هايدوك**" ..!

– إنه خير من عرفت من الرجال .

– حدثني يا سيد "**كليمنت**" ، إذا كان زوجي قد قتل في أثناء وجودي في بيتك فكيف لم أسمع صوت الطلق الناري ؟

– ثمة دلائل على أنه قتل بعد انصرافك .

– ولكن الرسالة كان مكتوبا بها "الساعة السادسة وعشرون دقيقة" .

– هذه الكلمات كتبت بخط آخر لعله خط القاتل نفسه .

ففر لونها وهمست قائلة :

– يا إلهي ..!! هذا مخيف .

– ألم تلاحظي أن هذه الكلمات قد كتبت بخط مختلف ؟

– يُخيَّل إلي أن الخطاب نفسه لم يكن بخط زوجي .

كانت ملاحظة صحيحة .. فإن خط الرسالة كان مضطربا ... ولايكاد يقرأ .. على عكس ما عرف عن وضوح خط **"بورتيرو"** .

سألتني :

– هل أنت واثق بأن **"لورنس"** لم يعد موضع ريبة ؟

– أعتقد أنه بمنأى عن كل اتهام ...

– من تظنه القاتل يا سيد **"كليمنت"** ..؟ أنا أعرف أن زوجي لم يكن محبوبا.. ولكني لم أكن أعلم أن له أعداء أو على الأقل هذا النوع من الأعداء...

– الحق أنه أمر محير ...

وتذكرت حديث الآنسة **"ماربل"** حين قالت : إن هناك سبعة أشخاص على الأقل .. يمكن اتهامهم بقتل العقيد **"بورتيرو"** .

❁❁❁❁❁

وغادرت **"آن"** وفي نيتي تنفيذ فكرة خطرت لي ، فسرت في الطريق الضيق حتى وصلت إلى السور الخلفي لحديقتي ، ثم قفلت راجعا ، وولجت الغابة من مكان خُيِّل إلي أن أقداما وطأته منذ وقت قريب ، وشققت طريقي وسط الأشجار المتعانقة.. وفجأة سمعت حركة على مقربة مني ، فتوقفت عن السير ، ونظرت حولي ووقع بصري على **"لورنس"** .كان ممسكا بحجر كبير .. ولابد أن دلائل الذعر كانت واضحة على وجهي ؛ لأنه انفجر ضاحكا وقال :

– هذا الحجر ليس أداة جريمة .. ولكنه غصن زيتون .

– غصن زيتون ..؟

– لعل الأفضل أن نسميه (وسيلة تفاهم) ؛ لأنني سأتوسل به لمقابلة الآنسة **"ماربل"** والتحدث إليها ، فقد قيل لي إنه لا شيء يدخل السرور على نفسها

كحجر لحديقتها اليابانية .

– هذا صحيح .. ولكن ماذا تريد منها ..؟

– ما أريده منها هو الآتي : لو كان هناك بالأمس أي شيء يمكن رؤيته فمن المحقق أن الآنسة "**ماربل**" قد رأته .. وإن أي شيء مهما بدا تافها ومنقطع الصلة بالجريمة يمكن أن يرشدنا إلى الحقيقة . وعلى كل حال فإن المحاولة لن تكلفنا شيئا .. وأنا مصمم على متابعة هذه القضية حتى النهاية .. من أجل "**آن**" ..إنني لا أثق كثيرا بـ "**لاندرومي**" .. إنه نشيط ولكن النشاط لا يغني عن الذكاء .

– هل تريد أن تعمل بوليسا سريا هاويا ..؟ إن الهواة لا بأس بهم في القصص .. أما في الحياة الواقعية فلا أظنهم يستطيعون منافسة المحترفين.

فنظر إلي بخبث وقال وهو يضحك :

– وأنت أيها القس .. ماذا كنت تفعل في الغابة ..؟

لقد راودتك فكرتي نفسها .. أليس كذلك ..؟ لقد سألت نفسي كيف استطاع القاتل الوصول إلى غرفة المكتب ..؟ هناك طريقان : الممر الضيق ، والسور الخلفي للحديقة . وطريق الباب الخارجي . وقد فكرت في احتمال وجود طريق ثالث .. هو طريق الغابة .. وشرعت في البحث عن مكان وطأته الأقدام حديثا . وسوف أواصل أبحاثي بعد أن أقابل الآنسة "**ماربل**" وأتحقق من أن أحدا لم يأت من الممر في أثناء وجودنا في الحظيرة .

– ولكنها أكدت أن أحدا لم يمر .

– نعم ... لا أحد يهم التحقيق من وجهة نظرها . ولكن ربما مر ساعي البريد ، أو بائع الحليب "اللبن" ، أو صبي الجزار .. أو أي شخص آخر كان من الطبيعي أن يمر .. ولذلك لم تلق إليه بالا ..

*****

وسرنا معا في الطريق إلى بيت الآنسة "**ماربل**" ، وكانت تعمل في حديقتها فرحبت بنا ، وشكرت لـ"**لورنس**" اهتمامه بإحضار الحجر ، وصارحها الشاب

بوجهة نظره فقالت :

– إنني أفهم ما تعني .. ولكني أؤكد لك أن أحدا لم يمر بذلك الطريق ليلة أمس.

ثم نظرت إلي وقالت :

– ماذا فعل مفتش البوليس اليوم ..؟

– إنه الآن بسبيل استجواب خدم العقيد ، على أمل أن يكون بينهم من سمع طرفا من الحديث الذي دار بين "**بورتيرو**" والسيدة "**لترانج**" .

– سيكون من بواعث الدهشة ألا يجد من بينهم من سمع طرفا من الحديث .. إن الخدم دائما يسترقون السمع .. والرأي عندي أن قصر "**بورتيرو**" هو أمل السيد "**ريدنج**" الوحيد لمعرفة أية معلومات جديدة .

فقال "**لورنس**" :

– ولكن السيدة "**بورتيرو**" لا تعرف أكثر مما أدلت به .

– لست أعني السيدة "**بورتيرو**" .. إنما أعني خادمات القصر ووصيفاته .. إنهن يخشيْن مصارحة شاب وسيم مثلك ، خصوصاً أنهن يعلمن أنك كنت متهما بارتكاب الجريمة ..

فقال "**لورنس**" بحزم :

– سأقوم بمحاولة الليلة .. وشكرا لك على أنك أوحيت إلي بهذه الفكرة .

- 17 -

من النافذة

فوجئت في صباح اليوم التالي بزيارة المفتش "**لاندرومي**" ، ولاحظت أنه أصبح أكثر مودة لي مما كان قبلا . قال لي باهتمام واضح :

– لقد عرفت مصدر المكالمة التليفونية التي استدعتك إلى مزرعة "**أبوت**" .

– أحقًّا ..؟

– العجيب أن هذه المكالمة صدرت من بيت الضيافة في " **القصر القديم** " ، وهو مبنى منعزل في حديقة القصر ، ولا يقيم به أحد في الوقت الحاضر ، وقد وجدت إحدى نوافذه الخلفية مفتوحة . ولكننا لم نعثر على أية بصمات على جهاز التليفون .. ومن المحقق أنها أزيلت .. وهذا دليل كافٍ على أن الغرض كان إبعادك عن البيت ، لقد دبرت الجريمة بإحكام ولو كانت المكالمة للمزاح فقط لما عني المتكلم بإزالة كل أثر لبصمات أصابعه .

– هذا أمر واضح .

– وذلك يدل أيضا على أن القاتل يعرف "**القصر القديم**" وأجنحته المختلفة جيدا، ومن المؤكد أن السيدة "**بورتيرو**" ليست هي التي تكلمت ؛ لأنني عرفت كيف قضت كل دقيقة من وقتها في يوم الحادث ، أما الآنسة "**ليتيسيا**" فإنها كانت وقت المكالمة في (**بنهام**) فلاوجه إذن للاشتباه فيها . وأما الخادمات والوصيفات فلاغبار عليهن كذلك .. كن خائفات ومضطربات ولكن ذلك أمر طبيعي ..

– يخيل إلي أن كل جهودك حتى الآن قد أسفرت عن نتائج سلبية .

– نعم .. ولا .. فقد حدث شيء آخر غير منتظر .

فنظرت إليه متسائلا وأجاب :

– هل تذكر المكالمة التليفونية التي تلقتها السيدة "**برايس ريدلي**" وتضمنت إهانة لها وتهديدا ..؟

– نعم أذكرها.

– لقد بحثنا أيضا عن مصدرها .. فماذا وجدنا ..؟

– هل صدرت من تليفون عام ..؟

– كلا يا سيد "**كليمنت**" .. كان مصدرها الكوخ الذي يقطنه "**لورنس ريدنج**" .

فهتفت في دهشة :

– أحقًّا ..؟

– نعم . وذلك يبدو عجيبا أيضا . أليس كذلك ..؟ ويجب أن تلاحظ أن "**لورنس**" لاضلع له في الموضوع ؛ لأنه كان وقت المكالمة ، وهو السادسة والنصف، في طريقه إلى الفندق مع الدكتور "**ستون**" .

وقد قرر الكثيرون أنهم أبصروا بهما .. وقد أكد "**لورنس**" عند استجوابه بشأن المسدس أنه اعتاد ألا يغلق باب كوخه بالمفتاح .. وأن كل أصحاب الأكواخ في المنطقة يفعلون ذلك . فلا بد إذن من أن أحدهم تسلل إلى الكوخ واستخدم التليفون . ولكن من هو ..؟ لولا عامل الوقت لرجحت أن يكون الشخص الذي استخدم تليفون "**لورنس ريدنج**" هو نفسه الذي سرق مسدسه، وارتكب به الجريمة.

ولكن مما يؤسف له أن المكالمة والجريمة حدثتا في وقت واحد تقريبا .. هو الساعة السادسة والنصف .

– هل وجدت بصمات على تليفون "**لورنس**" ..؟

– كلا ..

وصمت قليلا ثم سأل فجأة :

– ما قولك في تلك المرأة التي ذهبت لزيارة "**بورتيرو**" قبيل مصرعه ..؟

– تعني السيدة "**لتراخ**" .؟

– نعم .. إنني وضعتها تحت المراقبة .. هل تذكر ما قلته لك أمس من أنني أرجح أن يكون الابتزاز هو محور الجريمة ..؟

– ليس من الضروري أن يكون الابتزاز دافعا إلى الجريمة .. إن المبتز لايقتل الدجاجة التي تبيض له بيضا من ذهب .

– أصغ إلي يا سيد "**كليمنت**" .. هذه المرأة هي من طراز النساء اللاتي يندمجن في أرقى أوساط المجتمع ليستنزفن أموال الرجال . هب أن هذه المرأة كانت على صلة بالعقيد في وقت ما ، وأنها عرفت بعض أسراره ، وأنه هجرها ، ثم مضت سنوات علمت بعدها أنه يقيم في هذه القرية ، فلحقت به إلى هنا ، وحاولت استغلال ما تعرف من أسراره لابتزاز أمواله ، ثم هب أنه رضخ لابتزازها بعض

الوقت . ثم ضاق بمطالبها وهددها بإبلاغ الأمر إلى السلطات . أفلا يكون الحل الوحيد لتجنب تهمة الابتزاز هو التخلص من العقيد بأقصى سرعة .. وبطريقة لاتدع مجالا للشك في أمرها ..؟

كان الاستدلال منطقيا ومعقولا . ولكنني لن أستطيع التسليم به لسبب واحد هو شخصية السيدة "لترانج" نفسها .

قلت له :

– إنني لا أرى رأيك أيها المفتش .. فإن السيدة "لترانج" ليست من ذلك الطراز من النساء .. إنها سيدة عظيمة ..

– لا عجب إذا كان هذا هو رأيك . فانت قس .. ولا تعرف عن الناس معشار ما أعرف .. إن هذه المرأة النبيلة الأنيقة المظهر تستطيع أن تغمد خنجرا في صدرك دون أن يهتز لها هدب .

– لعلها تستطيع ارتكاب جريمة قتل .. ولكنها لا ترتكب جريمة ابتزاز .

– سوف ترى في النهاية أنني كنت على حق .

*****

وما إن انصرف المفتش حتى قالت لي زوجتي: إن الآنسة "**ماربل**" أرسلت في طلبي .

وقد وجدت الآنسة "**ماربل**" في حالة يرثى لها من الارتباك، ذلك أنها تلقت مكالمة من ابن أخيها "**ريموند ويست**" ، الكاتب القصصي المعروف، يقول فيها: إنه سيصل في اليوم التالي ليقضي معها عطلة نهاية الأسبوع . وكان لابد لها أن تعد له مكانا وطعاما خاصا ..

وبعد أن فرغت من إصدار أوامرها للخادمة التفتت إلي وقالت بصوت خافت :

– هل تعرف ماذا حدث أمس ..؟ لقد أصابني أرق ففتحت نافذتي لأتنسم الهواء . وماذا رأيت ..؟

وومضت عيناها ببريق غريب واستطردت تقول :

– رأيت "**جلاديس كرام**" تسير نحو الغابة وبيدها حقيبة .

– حقيبة ..؟!

– أليس ذلك عجيبا .. ؟ ماذا كانت تفعل بالحقيبة في الغابة في منتصف الليل..؟

وتلاقت عيوننا . وقالت على الأثر :

– قد لايكون لذلك صلة بالجريمة . ولكنه أمر لايخلو من الغرابة ..

– لعلها ذهبت إلى مكان الحفريات ..؟

– كلا .. لأنها عادت بعد قليل ومرت تحت نافذتي ولم تكن الحقيبة معها .

وتلاقت عيوننا مرة أخرى .

- 18 -

التحقيق

عقدت جلسة التحقيق في وفاة العقيد "**لوسيوس بورتيرو**" في إحدى قاعات الفندق برئاسة الدكتور "**روبرنس**" الذي جيء به من "**بنهام**" . ونظرا لأن هذه كانت أول جريمة ترتكب في "**سانت ماري ميد**" منذ خمسة عشر عاما ، وقد وقعت في بيت قس ، وذهب ضحيتها رجل ذو شخصية معروفة فقد احتشدت القاعة بالجمهور من أهل القرية والمناطق المجاورة ، كما خف إلى القرية عدد كبير من مندوبي الصحف اللندنية والإقليمية .

ولم يسفر التحقيق عن جديد .. فقد أدلى الجميع بأقوالهم على النحو الذي سردته . فقرر "**لورنس**" أنه اكتشف الجثة ووجد المسدس ، وعرف أنه مسدسه الذي كان يضعه على رف في خزانة الكتب ، وأنه لم يتعود إغلاق باب كوخه بالمفتاح .

وروت السيدة "**بورتيرو**" كيف أنها رأت زوجها لآخر مرة في الساعة السادسة إلا الربع عندما افترقا في القرية وكيف أنها ذهبت إلى بيتي بعد ذلك بنحو نصف

الساعة لكي تلحق بزوجها وتعود معه إلى بيتها .. وكيف أنها لم تسمع حديثا في المكتب ،ولم تر زوجها حين أطلت إلى الداخل ، ثم أجابت ردا على أسئلة المحقق بأن زوجها كان في حالة صحية وعقلية عادية ، وأنها لا تعرف له أعداء يضمرون له سوءا .

ثم جاء دوري فقلت : إنني كنت على موعد مع العقيد في مكتبي ثم اضطررت إلى الذهاب إلى مزرعة "**أبوت**" ، وعندما عدت ، اكتشفت الجثة واستدعيت الدكتور "**هايدوك**" .

ودعي "**هايدوك**" فوصف وضع الجثة والإصابة وقرر بصورة حاسمة أن العقيد قتل وهو يكتب وأن الوفاة حدثت فيما بين السادسة والنصف والسادسة و 35 دقيقة . واستبعد فكرة الانتحار تماما ؛لأنه لم يكن في استطاعة العقيد أن يحدث بنفسه تلك الإصابة .

وأدلى مفتش البوليس بشهادة موجزة ، وتحدث عن وضع الجثة ، والرسالة التي وجدها ، والساعة المحطمة ..

ثم استمع المحقق بعد ذلك إلى أقوال "**ماري**" . ولم يلح عليها بالأسئلة بشأن صوت الطلق الناري .

ودعيت السيدة "**لترانج**" للشهادة ، ولكنها أرسلت شهادة طبية موقعا عليها من الدكتور "**هايدوك**" تفيد أنها مريضة ، ولا يمكنها مغادرة الفراش ..

❁❁❁❁❁

وبعد أن لخص المحقق أقوال الشهود ، أصدر قراره باعتبار الحادث جريمة قتل والفاعل مجهول .

❁❁❁❁❁

ما كدت أغادر القاعة بعد انتهاء التحقيق .. حتى وجدت نفسي وسط جيش من الصحفيين ، ووقع بصري على الدكتور "**ستون**" فاستنجدت به ..

واستطعنا بعد جهد أن نصل إلى غرفته بالفندق عن طريق السلم الخلفي .

وكانت الآنسة "**كرام**" تعمل هناك على الآلة الكاتبة ، وقال لي "**ستون**" إنها تكتب تقريرا وضعه عن حفائره في حدائق "**بورتيرو**" .. ثم راح يحدثني عن الفارق بينه وبين العقيد "**بورتيرو**" . قائلاً :

– أعلم أنه مات ، وأن الإنسان لاينبغي أن يذكر الموتى بسوء ، ولكن الموت لايغير الحقائق ، وقد كان "**بورتيرو**" دعيًّا عنيدا . إنه قرأ كتابا أو كتابين فظن نفسه حجة في علم الآثار أمام رجل مثلي قضى كل حياته في هذه المهنة الشاقة الجاحدة .

وانطلق يحدثني عن الآثار حديثا فنيا مسهبا أعترف بأنني لم أفهم منه كلمة واحدة . وكان من الممكن أن يستمر الحديث ساعات وساعات لولا أن قالت له الآنسة "**كرام**" :

– إذا لم تنتبه فسوف يفوتك القطار .

فأمسك الدكتور "**ستون**" عن إتمام محاضرته ونظر في ساعته وهتف :

– يا إلهي .. الساعة الثانية إلا ربعاً ..!

فقالت "**جلاديس كرام**" :

– إنك دائما تنسى الوقت كلما استرسلت في الكلام ، والواقع أنني لا أدري ماذا ستفعل بدوني .

فقال وهو يربت كتفها بلطف :

– صدقت .

ثم نظر إلي وقال:

– إنها فتاة ممتازة يا سيد "**كليمنت**" .. إنها قلما تنسى شيئا .. كان من حسن حظي حقًّا أنني قابلتها .

فقلت لنفسي : إن أولئك الذين يتوقعون زواج "**ستون**" من سكرتيرته لم يخطئوا. ومهما يكن الأمر فإن الفتاة ذكية وماهرة .

قالت له الفتاة مرة أخرى :

– أسرع وإلا فاتك القطار .

فهرول "**ستون**" إلى الغرفة المجاورة وغاب بداخلها بضع دقائق ، ثم خرج حاملا حقيبته ومظلة ومعطفا وأغطية .

قال يحدثني :

– سأقضي يومين في "**لندن**" ، وسأزور والدتي غدا ، وأقابل محامياً بعد غد ، وأعود يوم الثلاثاء . وبهذه المناسبة ، لا أظن أن وفاة العقيد ستؤثر في عملي في الحفريات ، ولا شك في أن السيدة "**بورتيرو**" لن تعارض في استمرار نشاطي .

– لا أظن ذلك .

وسقطت منه المظلة فحاول التقاطها ، فأفلت منه المعطف وسقط على الأرض ، ولاحظت ارتباكه فتناولت المظلة والمعطف وقلت له :

– سأرافقك إلى المحطة .

وأراد أن يثنيني عن ذلك . ولكنني أصررت . .

قال لي ونحن نهرول في الشارع :

– لم تبق سوى دقائق معدودات . . المهم ألا يفوتني القطار .

ووصلنا إلى المحطة في لحظة خروج المسافرين القادمين من "**لندن**" ، وكنا نسرع الخطى فاصطدمنا بشاب وسيم عرفت فيه "**ريموند ويست**" . . ابن أخ الآنسة "**ماربل**" . . وقد ترنح وكاد أن يسقط ، فاعتذرنا له على عجل ، وواصلنا السير ، ولم ألتقط أنفاسي إلا حينما استقر الدكتور "**ستون**" على مقعد في إحدى مركبات القطار .

- 19 -

للجدران آذان

عدت أدراجي لكي ألحق بـ "**ريموند ويست**" ، ولكنه كان قد اختفى ، غير أنني لمحت "**لورنس ريدنج**" في الطريق . . فأسرعت الخطى حتى لحقت به . .

وكان واضحا أنه سُر بلقائي ، فقد قال وهو متهلل الوجه :

– كم كنت مشوقا إلى رؤيتك لكي أقص عليك مغامرتي في "**القصر القديم**" ..!! هل تعلم أن الآنسة "**ماربل**" بارعة وعلى جانب عظيم من الذكاء ..!!

– إنها بارعة حقًّا .. وهذا هو السبب في كراهية بعض الناس لها .

– إنني عملت بمشورتها فذهبت إلى القصر ، ورجوت السيدة "**بورتيرو**" أن تيسر لي مهمة استجواب الخادمات فدعت وصيفتها ، وتدعى "**روز**" ، وهي فتاة جميلة لعوب ، وقالت لها : إنني أريد أن ألقي عليها بعض الأسئلة ، ثم تركتنا وانصرفت .

وبدأت في استجواب الفتاة في كياسة ولباقة عما إذا كانت قد سمعت طرفا من الحديث الذي دار بين العقيد والسيدة المجهولة التي زارته قبيل مصرعه .

وبعد كثير من المناورة والمداورة ، وغير قليل من التودد والإطراء . اعترفت بأنها لا تعرف عن هذا الموضوع إلا ما أسرت به إليها زميلتها "**جلوريا**" التي تعمل مساعدة للطاهية ، والتي تسللت في تلك الليلة لمقابلة صديق لها ، فمرت تحت نافذة غرفة المكتب .. وسمعت بعض عبارات تبودلت بين العقيد والزائرة .

فأرسلت في طلب "**جلوريا**" ، واستطعت بعد أن اشتركت مع "**روز**"في طمأنتها .. أن أقنعها بترديد العبارات التي سمعتها ، فقالت :

– الواقع أنني لم أسمع الكثير .. ولكن يبدو أن العقيد كان غاضبا فسمعته يصيح : "أتأتين بعد كل هذه السنين ؟ " ولم أسمع جواب السيدة ، لأنها كانت تتكلم بصوت خافت . فقالت سيدي : "إنني أرفض بشدة " . ويبدو أن السيدة كانت تريد مقابلة السيدة "**بورتيرو**" .. لأن العقيد صاح بعد ذلك : "هذه فضيحة . فما كان ينبغي أن تأتي إلى هنا . لأنني لن أسمح لك بمقابلتها" . وتكلمت السيدة بصوت خافت فلم أسمع ما قالت ، ولكني سمعت العقيد يصيح :" لايهمني ماذا قال "**هايدوك**" .. هذه مؤامرة " .

فسألت "**جلوريا**" :

– ألم تسمعي ماذا قالت السيدة ..؟

– قالت في النهاية عبارة لن أنساها ما حييت ، قالت بصوت رهيب :

– "غدا في مثل هذه الساعة قد تكون ميتا" .

إنني ارتجفت فزعا عندما سمعت هذه العبارة ، وقد قلت ذلك لـ "**روز**" .

✽✽✽✽✽

وصمت "**لورنس**" لحظة ثم قال :

– إن هذا الحديث الذي سمعته الخادمة يدل بوضوح على أن اللقاء بين "**بورتيرو**" والسيدة "**لترانج**" لم يكن هادئا ..

والعبارة الأخيرة التي تفوهت بها السيدة "**لترانج**" كانت تتضمن تهديدا صريحا.. فما قولك في كل ذلك ..؟

فهززت رأسي ولم أجب .

كنت أفكر : "ما هو دور "**هايدوك**" في هذا كله ..؟ ولماذا منع السيدة "**لترانج**" من الإدلاء بأقوالها في التحقيق ..؟ ولماذا يحرص على حمايتها من البوليس ؟ ترى هل يعلم بأن لها ضلعا في الجريمة ..؟ وهل هو يتستر عليها ..؟"

بيد أن صوتا في أعماقي كان يهمس لي : " يستحيل أن ترتكب هذه المرأة الفاتنة ذات الشخصية القوية مثل هذه الجريمة .. "

فيجيب صوت آخر : "ولم لا .. ؟ هل لأنها امرأة فاتنة ..؟"

- 20 -

القرط ذو الزمردة الزرقاء

عندما عدت إلى البيت ، وجدت في انتظاري أزمة داخلية جديدة ، فقد استقبلتني "**جريزلدا**" بقولها :

– إنها سترحل .

– من .؟

– "**ماري**" .. وقد أمهلتني أسبوعا للبحث عن خادمة أخرى .

ولم يكن في ذلك ما يبعث على الانزعاج ، فأجبت :

– هذا حسن .. سنبحث إذن عن خادمة أخرى .

والواقع أنني أحسست بالارتياح ، فقد ضقت بالطعام غير الناضج وبالفطائر المحترقة ..

ولكن **"جريزلدا"** نظرت إلي مؤنبة وقالت :

– من السهل العثور على خادمة جديدة . ولكن ليس من السهل تدريبها .

– وهل كانت **"ماري"** حسنة التدريب ..؟ إن من عرض عليها أجرا أكبر مما تتقاضاه منا سوف يندم على ما فعل .

– إنها مسألة كرامة .. لا مسألة أجر .. لقد دخلت **"ليتيسيا"** غرفة المكتب للبحث عن قبعتها الصفراء ، وعابت على **"ماري"** أنها لم تحسن تنظيف الغرفة وإزالة الغبار عن الأثاث .. فغضبت **"ماري"** وصممت على الرحيل ...

أرجوك يا **"ليونارد"** ..حاول أن تسترضيها .

❀❀❀❀❀

ولم يكن من العسير علي أن أقنع **"ماري"** بأن ملاحظة **"ليتيسيا"** لا تقدم ولا تؤخر ما دام أصحاب الدار راضين عن عملها كل الرضا .

ومن ثم قصدت إلى قاعة المكتب لأعد موعظة الأحد ، ولكن ما كدت أدخلها حتى أحسست بأن في جوها شيئا مريبا وبغيضا .. فأردت مقاومة هذا الإحساس قبل أن يستفحل ويتحول إلى عقدة تنفرني من العمل في تلك الغرفة...

واقتربت من المقعد . وتذكرت على الفور أن **"بورتيرو"** كان يجلس على هذا المقعد نفسه عندما أطلقت عليه الرصاصة التي أودت بحياته .

وأجلت البصر حولي ..

نعم .. ها هو ذا القلم الذي كتب به الرسالة وها هي ذي السجادة التي سال عليها دمه وترك فيها بقعة لا تزال واضحة على الرغم من المحاولات التي بذلت لتنظيفها ..

ولكن ما هذا .؟

وقع بصري على شيء أزرق يتألق عند أحد قوائم المكتب فانحنيت والتقطته..

كان قرطا ذا زمردة زرقاء ...

وتذكرت على الفور أين رأيته آخر مرة ..

وبينما كنت أفحصه ، دخلت "**جريزلدا**" لكي تقول :

– نسيت أن أقول لك يا "**ليونارد**" إن الآنسة "**ماربل**" قد دعتنا لقضاء السهرة مع ابن أخيها في بيتها .. وإنني قبلت الدعوة .

– حسنا فعلت أيتها العزيزة .

– ما هذا الذي بيدك ..؟

– لاشيء ..

ودسست القرط في جيبي ...

- 21 -

عالم الآثار

لا أستطيع أن أقول إنني كنت يوما ما أحد المعجبين بـ "**ريموند ويست**" ..كان قصاصا موهوبا وشاعرا لابأس به . ولكنه كان ثقيل الظل ، وذا شخصية منفرة .

وقد طاف حديثنا معه في تلك السهرة حول الشعر والقصة والجريمة .. إلى أن قالت الآنسة "**ماربل**" في مناسبة ما :

– هل تعلم يا سيد "**كليمنت**" ان الآنسة "**كرام**" زارتني هذا المساء ..؟ الواقع أنني قابلتها في القرية مصادفة ..ودعوتها لمشاهدة حديقتي .

فسألتها "**جريزلدا**" :

– هل هي من هواة فلاحة البساتين ..؟

فأجابت الآنسة "**ماربل**" :

– لا أظن .

ثم غمزت بعينها واستطردت قائلة :

- ليست دعوتي لها سوى ذريعة للتحدث إليها .

- وماذا قالت ..؟

- إنها تحدثت طويلا عن نفسها وأسرتها .. ثم قالت: إنها ستقضي نهاية الأسبوع في قصر "**بورتيرو**" .. ولا أدري هل أقحمت نفسها على السيدة "**بورتيرو**" أم أن السيدة "**بورتيرو**" قد دعتها لتستعين بها في الرد على الرسائل العديدة التي وردت إليها ..؟ مهما يكن الأمر فإن الفتاة ستستمتع بإجازة طيبة في غياب الدكتور "**ستون**" .

فقال "**ريموند**" :

- الدكتور "**ستون**" ..؟ عالم الآثار المشهور ..؟

- نعم إنه يقوم ببعض الحفريات في حدائق "**بورتيرو**" .

فقال "**ريموند**" :

- إنه عالم كبير .. وقد قابلته في مأدبة عشاء منذ أيام ودار بيننا حديث طريف.. إنني مشوق إلى رؤيته مرة أخرى .

فأجبته :

- من سوء الحظ أنه سافر اليوم إلى "**لندن**" وسيقضي بها ثلاثة أيام . ولكن كيف لم تعرفه ..؟ إنه اصطدم بك في المحطة .

- بل أنت الذي اصطدمت بي .. وكان برفقتك رجل قصير القامة بدين ..

- ذلك هو الدكتور "**ستون**" .

- كلا يا عزيزي القس . ذلك الرجل لم يكن الدكتور "**ستون**" .

- كيف ..؟

- إنني أعرف الدكتور "**ستون**" جيدا .. وأؤكد لك أن الرجل الذي كان معك في المحطة لايشبهه من قريب أو بعيد .

فنظرت إلى الآنسة "**ماربل**" .. ونظرت هي إلي ..و قالت بعد لحظة :

- ذلك يذكرني بحادث الرجل الذي طاف بمنازل القرية زاعما أنه مندوب شركة

الكهرباء.

فصاح "**ريموند**" :

– إنه محتال ولاشك .

فقالت "**جريزلدا**" :

– ترى هل لهذا الحادث صلة بجريمة قتل "**بورتيرو**" ..؟

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– ليس من الضروري أن تكون هناك صلة .. إنه في ذاته حادث عجيب .

فقلت وأنا أنهض :

– نعم .. حادث عجيب حقًّا .. يجب أن أبلغ المفتش دون إبطاء.

- 22 -

سر الصورة

ما إن اتصلت بالمفتش "**لاندرومي**" وحدثته عن "**ستون**" وعن الحقيبة التي شوهدت مع "**جلاديس كرام**" حتى طلب إلي أن أكتم الأمر عن كل إنسان وبخاصة عن الآنسة "**كرام**" ريثما يبحث عن الحقيبة في الحفريات .

وفي اليوم التالي ، انتهيت من واجباتي في الكنيسة في الساعة الثامنة صباحا ، وقصدت إلى البيت لتناول الفطور وكانت "**جريزلدا**" تنتظرني في قاعة الطعام فقدمت لي رسالة جاءتها منذ قليل هذا نصها :

"عزيزتي "**جريزلدا**" ..

أكون شاكرة إذا تفضلت مع زوجك بتناول طعام الغداء عندي اليوم ، فقد حدثت أمور غريبة أود أن أستطلع "**كليمنت**" بشأنها .

وأرجو ألا تشيرا إلى هذه الرسالة عندما تحضران ، فإنني لم أنبئ أحدا بأنني كتبت إليكما ."

قالت "**جريزلدا**" :

– سنذهب بالتأكيد ...

فأومأت برأسي علامة الإيجاب .

قالت :

– ترى ماذا حدث ..؟ يخيل إلي أن هذه القضية لن تنتهي أبدا ..

– إنها لن تنتهي إلا إذا قبض على القاتل .

*****

وقصدنا إلى قصر "**بورتيرو**" ... وذهب بنا أحد الخدم إلى قاعة الاستقبال، وهناك وجدنا الآنسة "**كرام**" . كانت مرحة وسعيدة ، وقد رحبت بنا بحرارة ثم قالت:

– الحق أنني لم أحلم يوما بالإقامة في مثل هذا القصر ، ولكن السيدة "**بورتيرو**" كانت كريمة ولطيفة . فلم يرضها أن أقيم بالفندق وحدي وسط ذلك الجيش من الصحفيين ودعتني للإقامة معها بضعة أيام ، خاصة أنها في هذه الظروف بحاجة إلى سكرتيرة تتلقى المكالمات التليفونية وترد على الرسائل .

ثم دعينا إلى غرفة الطعام ، وجاءت "**ليتيسيا**" بعد قليل فابتسمت لـ"**جريزلدا**" وحيتني بإحناء رأسها قليلا .

كانت كالعهد بها .. جميلة . فاتنة ، تعيش في دنيا الأحلام وترفض ارتداء ثياب الحداد .

وبعد الطعام والقهوة قالت "**آن**" في كياسة :

– أريد أن أتحدث قليلا إلى القس .. سأذهب به إلى قاعة الاستقبال .

فنهضت وتبعتها إلى البهو .. وهناك وضعت أصبعها على شفتيها محذرة، وأمسكت بيدي ، وسارت بي في هدوء حتى نهاية الدهليز .. ثم ارتقت معي سلما صغيرا أوصلنا إلى دهليز آخر ..وهناك فتحت بابا ودفعت بي إلى غرفة متربة مليئة بالأثاث المحطم واللوحات والثياب المهلهلة .ولاحظت "**آن**" دهشتي فابتسمت ابتسامة حزينة وقالت :

– يجب أن أقول لك أولا . إنني كنت في الأيام الأخيرة لاأنام إلا قليلا .. أو لا

أنام على الإطلاق .. وقد حدث في وقت متأخر ليلة أمس أنني سمعت حركة في البيت فاصغيت السمع جيدا ثم نهضت وغادرت غرفتي . ولما وصلت إلى الدهليز، تبينت أن الصوت صادر من الطابق الثاني لا من الطابق الأرضي ، فوقفت عند أول الدرج الذي ارتقيناه في التو واللحظة وصحت : " من هناك ؟"

ولما لم أسمع جوابا .. ظننت أنني كنت واهمة وعدت إلى فراشي .

وفي الصباح الباكر ، صعدت إلى هذه الغرفة بدافع الفضول وإليك ما وجدت.

قالت ذلك ، وتناولت لوحة مسندة إلى أحد الجدران ووضعتها أمامي .. فذهلت. وأفلتت من فمي آهة عبرت عن دهشتي وذهولي ..

كانت اللوحة تمثل صورة زيتية لشخص ما ، وقد مزق وجه من الصورة تمزيقا أضاع معالمه .. وكان واضحا أن التمزيق حديث .

تعجبت قائلا :

– هذا عجيب .

– أليس كذلك ..؟ بماذا تفسره ..؟

– يُخيَّل إليَّ أنه من فعل مجنون في سورة غضب .

– هذا ما ظننته .

– ولكن صورة من هذه ..؟

– لا أعلم . ولم يسبق لي أن رأيتها .. عندما جئت إلى هذا القصر بعد زواجي، وجدت كل هذه الأشياء هنا فتركتها كما هي ولم أحفل بها .

فشرعت في فحص اللوحات الأخرى ..

كان بعضها يمثل مناظر ريفية والبعض الآخر نماذج للوحات مشهورة في إطارات رديئة الصنع ..

وكانت بالغرفة أشياء أخرى مهملة .. بينها حقيبة كبيرة للثياب على غطائها حرفا س . و ب . ففتحتها ولم أجد بداخلها شيئا ..

ولم يكن هناك أي أثر آخر يمكن أن يرشدنا إلى شيء .

✽✽✽✽✽

وذهبت بي السيدة "**بورتيرو**" إلى قاعة الاستقبال وأغلقت بابها، وسألتني :

– ماذا ينبغي أن أفعل ..؟ هل أبلغ البوليس ..؟

فأجبت بعد تردد :

– لا أدري ما إذا كان لهذا الحادث صلة بالجريمة .

– لاأظن ذلك .

– إذن فنحن حيال سر جديد .

وساد بيننا صمت عميق قطعته أخيرا بأن قلت :

– هل لي أن أسأل ماذا في نيتك أن تفعلي .؟

– سأقيم في هذا القصر ستة أشهر أخرى على الأقل .. إن التفكير في البقاء هنا يملؤني ذعرا ، ولكن يجب أن أبقى وإلا قال الناس إنني فررت تحت وطأة الندم ووخز الضمير .. وبعد الأشهر الستة أستطيع أن أقترن بـ "**لورنس**" .

– ذلك ما ظننته .

– أنت لا تعرف كم أنا مدينة لك يا سيد "**كليمنت**" . إنك جنبتني ما كان يمكن أن أشعر به بعد مصرع زوجي من خجل لو أننا فررنا معا . ولكنك نصحت لنا بألا نفعل ؛ وأنا لذلك مدينة لك بالشكر ..

– إن من بواعث ارتياحي أنني قدمت لكما هذه النصيحة .

– سوف تظل أصابع الاتهام تشير إلى "**لورنس**" مالم يقبض على القاتل ، وهذا أحد الأسباب التي تحملني على البقاء هنا ؛لأنني أريد أن أعرف الحقيقة.

وتألقت عيناها ببريق العزم فسألتها :

– وهل لذلك دعوت الآنسة "**كرام**" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معك ..؟

– نعم . إنني لاحظت اضطرابها في جلسة التحقيق ، وأيقنت أنها تعرف شيئا ، وقررت أن أراقبها عن كثب .

– ألم تلاحظي أن الصورة مزقت في أول ليلة قضتها هنا ..؟

– هل تظنها الفاعلة ..؟ ولكن لماذا ..؟ كلا .. كلا .. إنها لم تفعل ذلك ..

وهنا تذكرت أمرا فأخرجت القرط من جيبي وسألتها:

– أهذا قرطك ؟ أليس كذلك ..؟

– آه ! نعم . أين وجدته ..؟

ومدت يدها لتتناوله ولكني أطبقت يدي عليه وأجبت :

– هل يضايقك أن أحتفظ به بضعة أيام أخرى ..؟

– كلا .. بتاتا .

وظهرت على وجهها دلائل الحيرة والفضول ، فقلت لأغير مجرى الحديث :

– هل لي أن أسألك عن مركزك المالي ..؟ قد يكون ذلك فضولا ولكن ..

– ليس ذلك فضولا يا سيد "**كليمنت**" فأنت وزوجتك من أكرم أصدقائي علي وأحبهم إلي .. قد كان زوجي غنيا جداً كما تعلم وقد ترك كل ثروته لي ولابنته بالتساوي .. وكان هذا القصر من نصيبي ، ولكن بوسع "**ليتيسيا**" أن تأخذ من أثاثه ما تريد إذا شاءت أن تؤثث لنفسها بيتا .

– هل تعرفين ماذا في نيتها أن تفعل ...؟

– إنها لا تصارحني بما تعتزمه . ولكني أعتقد أنها تنوي الرحيل في أقرب وقت ممكن .. إنها لا تحبني ..ولم تحبني قط ..على الرغم من أنني بذلت قصارى جهدي لإرضائها ...

فألقيت عليها سؤالا مباشرا :

– وأنت .؟ هل تحبينها ..؟

فلم تجب على الفور ، مما أيد اعتقادي بأنها امرأة صادقة ومخلصة .

وأخيرا قالت :

– إنني أحببتها في البداية .. حين كانت طفلة صغيرة جميلة . ولكني لا أظن أنني أحبها الآن . وربما كان السبب أنها هي نفسها لا تحبني .

وانتهى حديثنا عند هذا الحد، ونهضت "**آن**" لتنضم إلى "**جريزلدا**" و"**جلاديس كرام**" في الحديقة... أما أنا فكانت لدي مهمة يجب أن أؤديها..

كنت أريد مقابلة "**ليتيسيا**" على انفراد، وقد وجدتها في غرفتها ودعتني للدخول فدخلت وقلت وأنا أغلق الباب:

– أريد أن أتحدث إليك يا "**ليتيسيا**" . . .

فقالت بقلة اكتراث:

– إنني مصغية إليك.

فأخرجت القرط من جيبي وقلت وأنا أعرضه عليها:

– لماذا تركت هذا القرط في مكتبي يا "**ليتيسيا**" . . ؟

فوجمت لحظة قصيرة ثم أجابت بسرعة ، وبلا مبالاة:

– إنني لم أترك شيئا في مكتبك . . . وهذا ليس قرطي . . . إنه قرط "**آن**" .

– أنا أعلم ذلك.

– إذن لماذا تسألني . . ؟

– إن السيدة "**بورتيرو**" لم تذهب إلى بيتي بعد الجريمة سوى مرة واحدة . . . وفي تلك المرة كانت ترتدي ثياب الحداد ولا أعتقد أنها كانت تتزين بقرط ذي زمردة زرقاء.

– لعلها فقدته في مكتبك في زيارة سابقة.

– ربما . . ولكن أتذكرين متى تزينت زوجة أبيك بهذا القرط آخر مرة . . ؟

– وهل لذلك أهمية . . ؟

– ربما.

– إذن سأحاول أن أتذكر.

واعتدلت في جلستها وقطبت جبينها، ولا أذكر أنني رأيتها في أي وقت مضى أجمل مما كانت في تلك اللحظة.

قالت أخيراً:

– آه ! تذكرت . . . إنها تزينت به آخر مرة يوم الخميس الماضي.

– يوم الخميس الماضي هو اليوم الذي وقعت فيه الجريمة . . وفي ذلك اليوم ذهبت السيدة "**بورتيرو**" إلى الحظيرة ولكنها لم تدخل البيت . . كل ما فعلته أنها تطلعت إلى داخل غرفة المكتب . .

– أين وجدت هذا القرط . . ؟

– تحت مكتبي.

– إذن فهي لم تذكر الحقيقة.

– هل تعتقدين أنها دخلت غرفة المكتب..؟

– هذا أمر واضح.

وتلاقت عيوننا.

قالت:

– إذا أردت رأيي.. فإنني لا أعتقد أبدا أنها قالت الصدق .

– لا أظن ذلك .

– ماذا تعني ..؟

– إنني رأيت هذا القرط لآخر مرة صباح يوم الجمعة عندما حضرت إلى هنا مع العقيد "**ملشيت**" .. كان القرط موضوعا على مائدة الزينة في غرفة زوجة أبيك؟

فأشاحت عني بوجهها وانخرطت في البكاء.

وتركتها تبكي لحظة ، ثم سألتها في هدوء :

– لماذا فعلت ذلك يا "**ليتيسيا**" ..؟

– فعلت ماذا ..؟

واعتدلت جالسة ورأيت على وجهها دلائل الذعر .

– ماذا دفعك إلى هذا التصرف .. أهو الحقد عليها ..؟ أهي الغيرة منها ..؟

صاحت في غضب :

– نعم .. إنني أمقتها منذ وضعت قدميها في هذا البيت . وأنا التي وضعت القرط في مكتبك على أمل أن يجر عليها ذلك بعض المتاعب.

فقلت لها إنني لن أنظر إلى محاولتها الفاشلة بعين الجد، وإنني سأعيد القرط إلى السيدة "**بورتيرو**" دون إيضاح، فتأثرت لذلك وقالت في استكانة :

– هذا كرم منك يا سيد "**كليمنت**" .

وبذلك انتهى الحديث بيننا.

✽✽✽✽✽

- 23 -

سر الحقيبة

عندما أبلغت المفتش "**لاندرومي**" بأمر الدكتور "**ستون**" المزعوم، وحدثته عن الحقيبة التي شوهدت مع الآنسة "**كرام**" في منتصف الليل، اتجه تفكير المفتش إلى الحفائر باعتبارها تصلح مكانا لإخفاء الحقيبة.

وخطر لي أن أتحقق من النتائج التي توصل إليها رجال البوليس، فقصدت إلى الحفائر ووجدت الشرطي "**هيوست**" يشرف على عملية البحث، وقد قال حالما رآني :

– لم نصل بعد إلى نتيجة ، ولكن هذا أفضل مكان يمكن أن تخفي فيه الفتاة الحقيبة .. ثم إنه نهاية الطريق الذي سلكته في الغابة.

– أما كان الأيسر أن يستجوب "**لاندرومي**" الفتاة مباشرة ؟

– إنه لم يشأ أن يشعرها بشيء.. ولكنها موضع مراقبة شديدة .. ومن المحتمل أن تكتب إلى "**ستون**" أو يكتب إليها ما يفضح سرهما .. لقد صدرت التعليمات لمكتب البريد بضبط رسائلهما.

– ولكن الآنسة "**ماربل**" أكدت أن الفترة بين مرور الفتاة تحت نافذتها ذهابا وإيابا كانت وجيزة.. وهذا يعني أن الفتاة لم يكن لديها متسع من الوقت للوصول إلى هنا.

– هل تصدق كلام هذه العجوز المخرفة..؟ ثم إن النساء جميعا لا يحسِّن تقدير الوقت. بيد أنني لم أقتنع بهذا الرأي، ولم أشأ مناقشته وتركته بعد أن تمنيت له التوفيق.

وخطر لي في الطريق أن أقوم بمحاولة ... فسرت في الممر الضيق المؤدي إلى الغابة. وحرصت على ملاحظة الأعشاب وأشجار العوسج على طول الطريق. ولفت نظري بقعة تدل أعشابها على أنها وطئت حديثا .. فمشيت فيها وأمعنت في السير في جوف الغابة . وشققت لنفسي طريقا وسط الأغصان المتشابكة ...

وانتهيت أخيراً إلى بقعة جرداء خالية من العشب والأشجار.

وحول هذه البقعة كانت كثافة الأشجار وتشابكها يدلا على أن أحدا لم يخترقها مؤخرا.. .وبينما أجيل البصر حولي .. إذا بي أرى شيئا يلمع تحت الأشجار، فقصدت إليه.. ومددت يدي .. وأخرجت الحقيبة من مخبئها بعد جهد غير قليل..

وأفلتت من فمي صيحة فرح .. فقد نجحت حيث فشل "**لاندرومي**" ورجاله .

وحاولت أن أفتح الحقيبة ، ولكنها كانت مغلقة بالمفتاح وعندما هممت بالنهوض . وقع بصري على قطعة صغيرة من البلور داكنة اللون ، فتناولتها بطريقة آلية ، ودسستها في جيبى .

وحملت الحقيبة وأسرعت بها في الطريق إلى البيت وما كدت أعبر سور الحديقة حتى سمعت صوتا يقول :

- أرى أنك وجدتها يا سيد "**كليمنت**" . ما أبرعك ..!

ولم يسعني إلا الاعتراف بأن لدى الآنسة "**ماربل**" موهبة خاصة تجعلها ترى دون أن تُرى ..

ووضعت الحقيبة على السور الذي يفصل بين حديقتينا فقالت :

- إنها الحقيبة نفسها التي رأيتها .. هل هي مغلقة يا سيد "**كليمنت**" ..؟

- نعم ، وسأحملها توا إلى مركز الشرطة .

- اليس الأفضل أن تتصل بهم تليفونيا ..؟ إذا سرت بها في القرية فسوف تجذب إليك الأنظار .

كانت ملاحظة وجيهة .

وهكذا حملت الحقيبة إلى بيت الآنسة "**ماربل**" ، واتصلت بالمفتش تليفونيا .. فقال إنه سيحضر فورا .

وجاء بعد قليل وهو ضيق الصدر، مكفهر الوجه .. وقال يحدثني وفي عينيه نظرة ارتياب :

- ألا تعلم أن الاحتفاظ بمثل هذه الأشياء مخالف للقانون ..؟ ما دمت تعرف

مكانها فقد كان ينبغى أن تخطر جهة الاختصاص .

– إنني وجدتها مصادفة . ولم يكن لي علم بمكانها ..

فقال ساخرا :

– نعم . وجدتها مصادفة في هذه الغابة الطويلة العريضة ..!!

وأخرج من جيبه مجموعة من المفاتيح أخذ يجربها في قفل الحقيبة حتى فتح..

وبدأت الحقيبة تلفظ محتوياتها : معطف أزرق ، وشملة قذرة ، وقبعة رثة ..، وحذاء ممزق ..

وكان المفتش يردد وهو يخرج هذه الأشياء :

– قاذورات .. قاذورات ...

ولم يبق في قاع الحقيبة سوى لفافة صغيرة فتناولها وفتحها . ولشد ما كان دهشتنا حين رأينا محتوياتها ..

كانت بها مجموعة رائعة من التحف الفضية ، وطبق من المعدن نفسه .

وهتفت الآنسة "**ماربل**" :

– هذه تحف العقيد "**بورتيرو**" .. وهذا الطبق يرجع عهده إلى عصر الملك"**شارل الثاني**" ، وكان "**بورتيرو**" شديد الاعتزاز به . فما معنى هذا ..؟

فقال المفتش :

– معناه أن هناك حادث سرقة .. وما يدهشني هو أن أحدا لم يبلغ عن اختفاء هذه التحف .

فقلت :

– لعل أحدا لم يكتشف سرقتها بعد ، إن لهذه التحف قيمة كبيرة ، وربما كان العقيد قد أخفاها في إحدى خزائنه .

– يجب أن أميط اللثام عن الحقيقة .. سأذهب إلى القصر فورا .. إذن فهذا هو سبب اختفاء صديقنا "**ستون**" لابد انه توقع اكتشاف السرقة ، أو خشي أن نقوم بالتفتيش لاستجلاء غوامض جريمة القتل فأوعز إلى سكرتيرته أن تخفي المسروقات في الغابة على أمل أن يعود لاستردادها ليلا . وبقيت السكرتيرة في القرية دفعا

للشبهات . ولكن ثمة أمراً واحداً محققًا .. هو أن هذه السرقة لا علاقة لها بالجريمة.

قال ذلك وأعاد الأشياء إلى الحقيبة وحملها وانصرف بعد أن رفض تناول الشراب الذي قدمته إليه الآنسة "**ماربل**" .

ولم يبد على الآنسة "**ماربل**" أنها اقتنعت بتفسير المفتش للحادث إذ قالت :

– إن قيمة هذه الأشياء ليست في معدنها ، وإنما في أهميتها التاريخية .. فإذا شاع أنها سرقت ، فإن أحدا لن يقدم على شرائها .

– ليتني أفهم ما تعنيين .

– أعني أن هذه التحف لابد أنها قد استبدلت بها تحف زائفة تشبهها ، وإلا لكانت السرقة قد اكتشفت .. وإني أذكر أن العقيد قال يوما :إنه سيستقدم أحد الخبراء من "**لندن**" لتقييم تحفه تمهيدا للتأمين عليها .. ولو أن الخبير قد جاء لاكتشف على الفور أنها تحف زائفة . ويومئذ لابد أن يتذكر العقيد أن "**ستون**" قد شاهد هذه التحف وعرف مكانها ، وأنه كان كثير التردد على القصر تحت ستار التنقيب عن الآثار.. ولكن ترى هل جاء ذلك الخبير ..؟

– فهمت ما تعنين وسآتيك بالخبر اليقين .

ونهضت إلى التليفون ، واتصلت بالقصر وتحدثت إلى السيدة "**بورتيرو**" .

– آلو .. "**آن**" ..؟ إن المفتش في طريقه إليك . ولكن الأمر ليس خطيرا .. حدثيني يا سيدتي . هل جاء خبير لتقييم التحف .؟

وكان جوابها حاسما وصريحا ، فشكرتها ، ووضعت السماعة ، وقلت أحدث الآنسة "**ماربل**" :

– كان العقيد قد اتفق مع الخبير على الحضور يوم الاثنين . أي غدا .. ثم أرجأ الخبير قدومه لوفاة العقيد .

فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– إذن فقد كان لدى "**ستون**" دافع لقتل العقيد .

– نعم .. كان لديه دافع . ولكن هل نسيت أن "**ستون**" كان يسير مع "**لورنس**"

والسيدة "**بورتيرو**" في الوقت الذي سمع فيه صوت الطلق الناري ..؟

– هذا صحيح . وهو كاف لتبرئته .

- 24 -

زيارة

عندما عدت إلى البيت ، وجدت "**هاوس**" في انتظاري بقاعة المكتب .كان يسير في القاعة جيئة وذهابا ، وهو مستغرق في التفكير فأفزعه دخولي وقال وهو يجفف العرق المتصبب على جبينه :

– معذرة . فإن أعصابي متوترة منذ بعض الوقت .

– يا عزيزي .. يجب أن تخلد إلى الراحة وإلا ساءت حالك .

– لا أستطيع التخلي عن عملي . ذلك ما لن أفعله أبدا ..

– من طلب إليك التخلي عن عملك ..؟ أنت رجل مريض وتحتاج إلى الراحة..

– على كل حال ، أنا جئت الآن لكي أرجوك أن تنوب عني في إلقاء موعظة هذا المساء . إذ لا قدرة لي على إلقائها ..

وأغمض عينيه ، وترنح قليلا ..كان من الواضح أنه يعاني أزمة ما . ويبدو أنه أدرك ما يدور بخلدي ؛ لأنه فتح عينيه على الفور وقال:

– ليس بي من شيء .. سوى ذلك الصداع المؤلم الذي يعذبني . هل لي في جرعة ماء ؟

– بكل تأكيد .

وأحضرت له الماء بنفسي ، فشكرني ، وأخرج من جيبه علبة صغيرة تناول منها قرصا وضعه في فمه وازدرده مع الماء ثم قال :

– هذا عقار لإزالة الصداع .

وهنا خطر لي أنه ربما يتعاطى المخدرات ، فذلك هو التفسير الوحيد لما يبدو من شذوذه .

والواقع أن اضطرابه زال بعد لحظة ، وبدا عليه الهدوء .

قال :

– إذن ستلقي موعظة المساء نيابة عني ..؟ هذا كرم منك ..

ثم أرسل بصره عبر النافذة وقال :

– لقد زارني السيد "**ريدنج**" أمس . ولا أعلم لماذا ؟

– ألم يذكر لك سبب زيارته ..؟

– قال فقط إنه جاء ليراني ؛ إذ لابد أنني أشعر بالوحدة .. مع ملاحظة أنه لم يزرني قبل ذلك قط .

فأجبته وأنا أبتسم :

– إنه على كل حال ،شاب جم الأدب ، حلو الحديث .

– ولكن لماذا جاء لزيارتي ..؟ ثم قال إنه سوف يزورني مرة أخرى .. فما معنى ذلك ..؟ وماذا يدور برأسه ..؟

وقلب شفته . وهز كتفيه ،و شكرني مرة أخرى واستأذن في الانصراف ، فرافقته إلى الباب ..

وقابلتني "**ماري**" في البهو وقدمت إلي رسالة قالت إنها وردت منذ لحظات.. فقصدت إلى مكتبي وفضضت الرسالة وقرأت فيها ما يلي :

– "عزيزي السيد"**كليمنت**" .

جاءني نبأ على جانب عظيم من الأهمية فأردت أن تكون أنت أول من يعلمه.. ستجدني في انتظارك في أي وقت بعد ظهر اليوم ."

"**أماندا هارتنل**"

يا إلهي !! إن ثرثرة أولئك النسوة لن تنتهي .ونظرت إلى ساعتي ، وقررت أن أمر بالمفتش "**لاندرومي**" في مركز البوليس ، للوقوف على نتيجة مهمته في قصر "**بورتيرو**" فوجدته في مكتبه ، وأمامه الشقراء "**جلاديس كرام**" ..

كان يستجوبها . وكانت تنكر بشدة أنها حملت الحقيبة وذهبت بها إلى الغابة..

قالت :

– لقد أخطأت هذه العجوز هذه المرة حين زعمت أنها بصرت بي مع الدكتور "**ستون**" والسيد "**ريدنج**" عقب الجريمة .

فإذا كانت قد وقعت في هذا الخطأ في وضح النهار . فكيف استطاعت أن تتعرفني في منتصف الليل ..؟

فقال المفتش :

– إذا قرر صاحب الفندق أن الحقيبة حقيبتك؟

– سيكون مخطئا .. فليس على الحقيبة اسم أو عنوان أو أية علامة تميزها . وهناك مئات من الحقائب تشبهها .أما اتهامك الدكتور "**ستون**" مع كل ما يحمل من مؤهلات بأنه لص .. فذلك..

– أترفضين الاعتراف بأنك ذهبت بالحقيبة إلى الغابة .؟

– لن أعترف بشيء لم أفعله . ولن أنطق بكلمة أخرى إلا في حضور محامٍ ، سأذهب الآن . ما لم تكن تريد إلقاء القبض عليّ .

فلم يسع المفتش إلا أن ينهض ويفتح لها الباب ..

وخرجت الفتاة مرفوعة الرأس .

وقال المفتش وهو يقلب كفيه :

– هأنتذا ترى أنها تنكر كل شيء . من المحتمل أن تكون الآنسة "**ماربل**" قد أخطأت . ولن يوجد قاض واحد يصدق أنه من الممكن لإنسان أن يتعرف إنسانا من هذه المسافة نعم . لابد أن العجوز قد أخطأت ..

– وماذا وجدت بشأن تحف القصر ..؟

– كلها موجودة .. ولابد أن بعضها زائف ، وقد أرسلت في طلب أحد الخبراء من "**بنهام**" .

*****

كان علي بعد ذلك ان أعرف النبأ المهم الذي تحدثت عنه الآنسة "**هارتنل**" ،

فقصدت إلى بيتها . ويبدو أنها كانت ترقبني من نافذته؛ لأنها فتحت الباب قبل أن أدق الجرس ، وشدت على يدي بحرارة ، ورافقتني إلى غرفة صغيرة . قالت إنها أفضل لحديثنا . . وقدمت إلي مقعدا وجلست هي على مقعد أمامي .وبدأت الحديث بقولها :

– أنت تعلم أنني أستنكر النميمة، وأكره الثرثرة . . ولكنني وجدت أنه من واجبي في الظروف التي نعيشها الآن ان أقول للمفتش :إنني ذهبت لزيارة السيدة "**لترانج**" في يوم وقوع الجريمة ولم أجدها . . وقد زعمت السيدة **لترانج**" أنها كانت في بيتها، وأنها لم تشأ استقبالي لسبب لم تذكره . . وذلك غير صحيح ، لأنني لم أكتف بدق الجرس أكثر من مرة ، وإنما طفت حول البيت ، ونظرت من خلال النوافذ . . ولم أجد لها أثرا . .وأمس ، أكد لي من أثق بصدقه أنه رآها في يوم الجريمة فيما بين الساعتين السادسة والسابعة وهي تسير في الشارع الذي يقع فيه بيتك .

– إنه نبأ خطير . . أليس كذلك ! هل ذكرته للمفتش. .؟

– كلا . . أردت أن تكون أنت أول من يعلم به . . ثم إن المفتش رجل فظ . . يتعذر التفاهم معه .

– إذن دعي الأمر لي . .وشكرا لك .

– إنني أؤدي واجبي . ولا أنتظر شكرا من أحد .

- 25 -
السيدة "لترانج"

كان لابد لي أن اقطع الشك باليقين في أمر السيدة "**لترانج**" وصلتها المحتملة بمصرع "**بورتيرو**" ، وخطر لي أن أتحدث بشأنها إلى الدكتور "**هايدوك**" ، فذهبت إليه ، ووجدته في بيته . وخيل إلي حين رأيته عابسا مهموما أن السن قد تقدمت به عشرة أعوام على الأقل في خلال الأسبوع الأخير .

وقد رحب بي كعادته ، وسألني :

– هل من جديد؟

فرويت له ما كشفناه من أمر "**ستون**" فهتف قائلا :

– ياله من محتال ..!! إذن فقد اتخذ من الحفريات ذريعة لسرقة تحف العقيد..؟ لقد لاحظت من البداية أنه لا يعرف من علم الآثار إلا القليل ، ولاحظ العقيد ذلك أيضا . وكثيرا ما تحولت الخلافات بينهما إلى مشاجرات عاصفة . ولكن ماذا عن الآنسة "**كرام**" ..؟ هل كانت شريكة له ..؟

– لم يتضح ذلك بعد ، وأنا شخصيا لا أظنها على هذا المستوى من الذكاء..

ثم حدثته عن قلقي بشأن "**هاوس**" ، وقلت : إنه يحتاج إلى راحة طويلة ..

وفجأة ، سألني "**هايدوك**" وهو يتفرس في وجهي :

– أهذا كل ما عندك .؟

وحينئذ رويت له ما سمعته من الآنسة "**هارتنل**" ، وعما يقال عن الشهادة الطبية التي تذرعت بها السيدة "**لترانج**" لعدم حضور جلسة التحقيق ..

وأصغى إلي "**هايدوك**" باهتمام ، وصمت طويلا ، ثم قال :

– هذا صحيح يا "**كليمنت**" .. هذا صحيح . إنني بذلت قصارى جهدي لأجنب السيدة "**لترانج**" كافة المتاعب والمضايقات . إنها صديقة قديمة . ولكن الصداقة ليست الدافع الوحيد . إن الشهادة التي قدمتها في جلسة التحقيق لم تكن مجاملة مني لها كما تعتقدون جميعا ..

وأمسك عن الكلام لحظة ثم قال بلهجة جدية :

– سأقول لك سرًّا يا "**كليمنت**" . إن السيدة "**لترانج**" مقضي عليها بالموت .

– كيف ..؟

– إنها لن تعيش أكثر من شهر . فهل يدهشك بعد ذلك حرصي على تجنبها مضايقات التحقيق ..؟

وعندما شوهدت في هذا الشارع في يوم الجريمة ..كانت في طريقها إلى هذا البيت ..

– ولكنك لم تذكر ذلك قط ..

– ذلك لأنني لم أشأ أن تتناولها ألسنة السوء بالقيل والقال .. فالجميع يعلمون أنني لاأستقبل المرضى بين السادسة والسابعة مساء . ولكن يجب أن تصدقني حين أقول لك إنها كانت في طريقها إلى هنا .

– ولكنها لم تكن هنا حين استدعيتك عقب اكتشافي الجريمة .

– نعم . كانت قد انصرفت . لأنها كانت على موعد .

– وأين كان هذا الموعد ..؟ في بيتها ..؟

– لا أعلم . أقسم لك بشرفي يا "**كليمنت**" إنني لا أعلم .

فصدقته ..ثم تذكرت القطعة البلورية الداكنة التي وجدتها في الغابة فأخرجتها من جيبي، وسألته :

– هل تعرف ما هذه ؟

فتناولها وفحصها وأجاب :

– يبدو أنها قطعة متبلورة من حامض "البكريك" . وهو أحد مركبات النتريك . أين وجدتها بحق السماء ..؟

– هذا سر من أسرار "**شرلوك هولمز**" .

فضحك ، وسألته :

– ما خصائص حامض "البكريك" ..؟

– ألا تعلم أنها مادة متفجرة ؟

– أليست له استخدامات أخرى ؟

– إنه يستخدم طبيا كعلاج للحروق . ونتائجه مدهشة ..

فقلت وأنا أسترد القطعة :

– لست أدري إذا كانت لهذه القطعة أية أهمية ..ولكني وجدتها في مكان لا يتوقع فيه وجود "البكريك" .

❀❀❀❀❀

- 26 -

الاحتمالات الثلاثة

كانت الكنيسة غاصة بالناس على نحو لم يسبق له مثيل ، وكان من غير المعقول أن يكون كل هؤلاء الناس قد جاءوا لسماع موعظة "**هاوس**" وعلى فرض أنهم علموا أنني الذي سألقي الموعظة . فمن غير المعقول أن يزدحموا على هذا النحو . لابد إذن أنهم جاءوا لكي ينظر بعضهم إلى بعض ، ثم لكي يتبادلوا الأنباء ويتناقلوها بعد الخروج من الكنيسة . .

ومهما يكن من أمر فقد رأيت هناك "**هايدوك**" ، الذي لم يتعود الحضور إلى الكنيسة ، وكذلك "**لورنس**" . بوجهه الشاحب و"**هاوس**" بنظراته الشاردة والسيدة "**بورتيرو**" . ولكن هذه كانت تتردد على الكنيسة باستمرار في أيام الآحاد .

كذلك رأيت "**ليتيسيا**" و"**جلاديس كرام**" وجميع العوانس اللائي ورد ذكرهن في هذه القصة . .

صفوة القول . إن القرية كلها تقريبا كانت هناك .وكنت أحرص دائما على إعداد موعظتي بعناية . .

ولكنني في هذه المرة لم أجد بدا من الارتجال ، وبدأت الموعظة بهذه العبارة :

"إنني لم أجئ لأدعو إلى الخير ، وإنما جئت لأدعو الخاطئين والمذنبين إلى التوبة" .

وسمعت صوتي يدوي في أرجاء الكنيسة وسط السكون الشامل وكأنه صوت إنسان آخر غير "**ليونارد كليمنت**" ، ورأيت "**جريزلدا**" ترفع رأسها وتنظر إلي في دهشة . .

والتقطت أنفاسي ، وواصلت موعظتي . . وتزاحمت الأفكار في رأسي وتدفقت الكلمات من فمي في سهولة ويسر ، وكأنني أقرأ في كتاب مفتوح . ومددت أصبع الاتهام أكثر من مرة وأنا أهتف :" أنت من أعني " . . وفي كل مرة كنت أسمع آهات الأسى والندم .وأنهيت الموعظة بهذه العبارة من الإنجيل : (والليلة ،

سيطلب إليكم أن تقدموا حسابا عما فعلتم بأرواحكم) .

وغادرت الكنيسة . والناس ما زالوا في أمكنتهم وكأن على رؤوسهم الطير..

وفي الخارج .. كانت "**جريزلدا**" في انتظاري ، فقالت وهي تتأبط ساعدي :

– إنك كنت رائعا ومخيفا يا "**ليونارد**" .. لقد خيل إلي في لحظة ما أنني لا أعرفك . لماذا فعلت ذلك ..؟

– لا أعلم .. ربما لأنني أشعر في أعماقي بكل ما في هذه القرية من شرور .

ووجدت في انتظاري رسالة من الآنسة "**ماربل**" تقول فيها :

"أود أن أحدثك على انفراد عن أمور خطرت لي .. فإن من واجبنا جميعا أن نحاول إماطة اللثام عن سر تلك الجريمة المؤسفة .

سأحضر لمقابلتك في مكتبك في منتصف الساعة العاشرة ، وإذا لم يصلني منك رد فسأعتبر هذا الموعد قائما " .

وكانت الساعة لاتزال التاسعة . فخطر لي أن أقضي الوقت في وضع جدول زمني لأحداث الجريمة بترتيب وقوعها ..

وفي الساعة التاسعة والنصف ، طرق الباب ودخلت الآنسة "**ماربل**" .

قالت بعد أن جلست والتقطت أنفاسها :

– لعلك تتساءل عن سبب اهتمامي بهذه الجريمة ..على الرغم من أن ذلك ليس من شئون النساء . ولكن الواقع أن من يعيش في عزلة في قرية كهذه . لايلبث أن يشعر بالحاجة إلى ما يشغله .. هناك بالتأكيد الكتب ، والتطريز ، والتصوير . وغيرها ... ولكن هوايتي المفضلة كانت دائما ملاحظة الناس ودراسة طبائع البشر. وتبدأ هذه الهواية عادة بتصنيف الناس وفقا لطبائعهم وأخلاقهم وسلوكهم كما تصنف الطيور والزهور . وإنها لمتعة حقًّا أن تكوِّن رأيًا عن أحد الناس ثم تثبت الأحداث صدق فراستك .والآن دعني أسألك قبل أن أتحدث عن خواطري .. هل لديك جديد ..؟

فحدثتها عن الصورة الممزقة ، وعن رسالة الآنسة "**هارتنل**" ، وموقف الآنسة "**كرام**" في التحقيق والحوار الذي دار بيني وبين "**هايدوك**" .. وأخيرا عن مادة

"البكريك" التي وجدتها والتي لا أعرف مدى أهميتها . أو صلتها بالقضية التي نحن بصددها . ثم قدمت إليها الجدول الزمني الذي وضعته عن أحداث الجريمة وكان كما يلي :

يوم الخميس :

الساعة 12.30 : أرجأ العقيد موعدنا من الساعة السادسة إلى الساعة السادسة والربع .

الساعة 12.45 : شوهد مسدس "**لورنس**" لآخر مرة في مكانه المألوف .

الساعة 5.30 : (تقريبا) : غادر العقيد و زوجته بيتهما واستقلا السيارة إلى القرية .

الساعة 5.30 : (بالضبط) تلقيت مكالمة تليفونية زائفة صادرة من بيت الضيافة في قصر العقيد .

الساعة 6.15 : (أو بعد ذلك بدقيقة أو دقيقتين) : وصل العقيد إلى بيته وأدخلته "**ماري**" إلى قاعة الاستقبال .

الساعة 6.20 : وصلت السيدة "**بورتيرو**" إلى الممر الخلفي واجتازت الحديقة وأطلت من باب شرفة المكتب، ولم تر زوجها .

الساعة 6.29 : مكالمة تليفونية للسيدة "**برايس ريدلي**" صادرة من كوخ "**لورنس ريدنج**"

الساعة 6.30 – 6.35 : سمع صوت طلق ناري .

الساعة 6.45 : وصل "**لورنس ريدنج**" إلى بيتي واكتشف الجثة .

الساعة 6.48 : قابلت "**لورنس**" بالباب .

الساعة 6.49 : اكتشفت الجثة بدوري .

الساعة 6.55 : شرع "**هايدوك**" يفحص الجثة .

(ملحوظة) : الشخصان الوحيدان اللذان لم يقدما تقريراً مقنعا عن تحركاتهما فيما بين الساعة 6.30 والساعة 6.35 هما الآنسة "**كرام**" ،والسيدة "**لترانج**" ، وقد قررت الأولى أنها كانت في الحفائر ، ويمكن الأخذ بأقوالها ، أما الثانية فإنها غادرت

بيت الدكتور "**هايدوك**" في الساعة السادسة وبضع دقائق؛ لتذهب إلى موعد . ولكن أين ؟ ومع من.. ؟ إنها شوهدت في الحقول وقت ارتكاب الجريمة . ولكنني لا أرى ما يدعوها إلى قتل "**بورتيرو**" .. لأنها لا تستفيد من موته ..وكذلك أستبعد فكرة الابتزاز التي يتبناها "**لاندرومي**" ذلك فضلا عن استحالة حصولها على مسدس "**لورنس**" .

قرأت الآنسة "**ماربل**" الجدول بعناية وقالت :

– الواقع أنك أوضحت فيه كل شيء ..

وهنا ألقيت عليها السؤال الذي يتردد على شفتي :

– بمن ترتابين يا آنسة "**ماربل**" ..؟ أذكر أنك تحدثت مرة عن سبعة أشخاص.

– إن الحل الصحيح لهذا اللغز يا سيد "**كليمنت**" ، هو الحل الذي يفسر جميع الأحداث والملابسات . ولولا تلك الرسالة اللعينة ....

– أية رسالة ؟

– تلك التي وجدت على المكتب .. لقد قلت لك من البداية : إنه لايوجد ما يحيرني سواها .

– ولكننا نعلم الآن أن الرسالة كتبت في الساعة السادسة والنصف ، وأن يدا غريبة ، لاشك في أنها يد القاتل ، أضافت عبارة (الساعة السادسة و20 دقيقة) .

– في رأيي أن ذلك أيضا لايوضح اللغز .

– كيف ..؟

– أصغ إلي ..

وانحنت إلى الأمام ومضت تتكلم بحدة وحماسة ..قالت :

– نحن نعلم أن السيدة "**بورتيرو**" اجتازت الحديقة ، وذهبت إلى شرفة قاعة المكتب وأطلت من خلالها ونظرت إلى الداخل ولم تر العقيد ..

– نعم .. لأنه كان يكتب .

– هنا اللغز .. فقد كانت الساعة وقتئذ السادسة و 20 دقيقة . ونحن متفقون على أن العقيد لم يشرع في الكتابة إلابعد السادسة والنصف لكي يقول في

رسالته: إنه لا يستطيع الانتظار أكثر مما انتظر .. فلماذا إذن جلس أمام المكتب في الساعة السادسة و 20 دقيقة ..؟

– الواقع أنني لم أفكر في ذلك .

– دعنا نستعرض الأحداث من البداية يا سيد "**كليمنت**" .. لقد وقفت السيدة "**بورتيرو**" عند باب الشرفة ..

و لابد أنها ظنت أن غرفة المكتب خالية وليس بها أحد ، ولولا ذلك ما جازفت بالذهاب إلى الحظيرة لمقابلة "**لورنس**" .

ولكي تظن أن الغرفة خالية ، لابد أن السكون كان شاملا .. وهناك ثلاثة احتمالات لذلك : الأول – أن يكون العقيد قد مات فعلا ، وهو مالا أظنه ؛ لأنه لم يكن قد قضى بالغرفة سوى خمس دقائق .

والثاني – أن يكون العقيد قد شغل بالكتابة ، وفي هذه الحالة لابد أنه كان يكتب رسالة أخرى غير الرسالة التي وجدت ..

– والثالث ..؟

– والثالث أن يكون العقيد قد غادر قاعة المكتب لفترة من الوقت ثم عاد إليها مرة أخرى .

– ولكن لماذا .؟

– ذلك ما يجب أن نبحث عنه ..

ونهضت واقفة وقالت :

– هذه هي الاحتمالات الثلاثة التي يجب أن نفكر فيها .

وتنهدت ، واقتربت من باب الشرفة . وراحت تعبث بشجيرة في آنية هناك ، ثم هتفت :

– هذه الشجيرة توشك أن تذبل يا سيد "**كليمنت**" ..إنها بحاجة إلى الماء .. إلى كثير من الماء ..

وهمت بالعودة ، ثم توقفت فجأة وهتفت وكأنها تتحدث إلى نفسها :"– آه .. ما أشد غبائي ..! هذا واضح تماما .."

– ماذا قلت ..؟

– لاشيء . ليست سوى فكرة خطرت لي . يجب أن أذهب إلى "**آن**" لأواصل التفكير ..

– ألا تحدثينني عن هذه الفكرة التي خطرت لك ..؟

– ليس الآن . فقد أكون مخطئة ، ولكن لاأظن ذلك ، إلى اللقاء يا سيد "**كليمنت**" ... وشكرا ..

– ألا تزال الرسالة هي العقبة الكؤود ..؟

– الرسالة . ؟إنها زائفة .. كان ذلك رأيي فيها من البداية ... إلى اللقاء .

- 27 -

الحديث المبتور

رافقت الآنسة "**ماربل**" إلى الباب ، وبعد انصرافها ، حانت مني التفاتة إلى صندوق البريد ، فوجدت به خطابا فتناولته .. وهممت بفضه حين سمعت صوتا يهتف :

– طاب مساؤك يا "**كليمنت**" .. لقد عدت من المدينة الآن وخطر لي أن أتناول معك شرابا ..

فوضعت الخطاب في جيبي وهرولت لاستقبال العقيد "**ملشيت**" ورافقته إلى مكتبي ، وذهبت لأعد له قدحا من الشراب ، ولما عدت ، وجدته واقفا يفتل شاربيه أمام المدفأة ..

قال حالما رآني :

– سأنهي إليك أعجب نبأ سمعته يا "**كليمنت**" .. هل تذكر تلك الرسالة التي قتل "**بورتيرو**" وهو يكتبها ..؟

– أذكرها جيدا ..

– حسنا . لقد كلفنا أحد الخبراء بفحصها لنرى ما إذا كان الشخص الذي كتب

الرسالة هو نفسه الذي كتب الساعة والدقيقة .. وقدمنا إلى الخبير نموذجا من خط "**بورتيرو**" . فهل تعرف ماذا كانت نتيجة الفحص ..؟ لقد أكد الخبير أن الرسالة ليست بخط "**بورتيرو**" ..

– هذا مخيف ..!! إنني أذكر أن السيدة "**بورتيرو**" قالت لي شيئا بهذا المعنى ولكني لم ألق بالا إليها . وأعجب من ذلك أن الآنسة "**ماربل**" قالت لي منذ لحظات : إن الرسالة زائفة ..

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون ، فتناولت السماعة ، وسمعت على الفور صوتا ثاقبا يصيح :

– يجب أن أعترف . يجب أن أعترف . يا إلهي ..!

فصرخت :

– آلو . آلو .. سنترال . يا آنسة . لقد قطعت المكالمة .. ما رقم التليفون الذي كان على اتصال بي منذ لحظة ..؟

فأجابت موظفة التليفون بصوت هادئ عذب : إنها لا تعرف .

ووضعت السماعة ونظرت إلى "**ملشيت**" ، وقلت له .

– إنك قلت يوما : إنك تجن إذا تقدم شخص آخر ، واعترف بأنه مرتكب الجريمة، هل تذكر ..؟

– نعم ..

–ها هو ذا شخص حدثني وقال : إنه يريد أن يعترف ..

ولكن المكالة قطعت .

فوثب "**ملشيت**" إلى التليفون وصاح :

– سأتصل بمكتب التليفون فورا ..

– أرجو أن تفعل . ولعلك أن تكون أحسن حظًا مني ..

أما أنا فسأذهب . إذ يخيل إلي أنني عرفت صاحب الصوت .

*****

- 28 -

حيرة

سرت مهرولا في الشارع الرئيسي ، وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة والقرية ساكنة والشوارع مقفرة ، ولكني رأيت النور ينبعث من غرفة "**هاوس**" ، فطرقت باب البيت ، وفتحته صاحبته، وهتفت حالما بصرت بي :

– أهذا أنت يا سيد "**كليمنت**" ..؟

– طاب مساؤك . أود مقابلة السيد "**هاوس**" ، فلقد رأيت نورا في غرفته . ألم ينم بعد ..؟

– لا أعلم ، فإنني لم أره منذ حملت إليه طعام العشاء ،ولكنه قضى أمسية هادئة ولم يزره أحد .

فصعدت السلم وثبا ، وكان "**هاوس**" يقيم في غرفة مؤثثة بالطابق الأول ... فوجدته مستغرقا في النوم على الأريكة وبجانبه علبة أقراص فارغة ونصف كوب ماء ، ورأيت على الأرض رسالة مطوية فتناولتها . وقرأت في بدايتها هاتين الكلمتين :

عزيزي "**كليمنت**"

وأتممت تلاوة الرسالة وأنا لا أصدق عيني ، ثم دسستها في جيبي وتناولت سماعة التليفون ، وطلبت الرقم التليفوني الذي تلقيت منه المكالمة المبتورة فكان مشغولا فرجوت عاملة التليفون أن توصلني بالرقم حالما يخلو.

ووضعت يدي في جيبي لأتناول الرسالة وأعيد تلاوتها ، فمست يدي الخطاب الذي كنت قد وجدته في صندوق بريد البيت . فأخرجته من جيبي وفضضته ..

كان مكتوبا بخط لا أعرفه ، وبغير توقيع . وقرأته مرة ثانية دون أن أفهم كلمة مما جاء به ، وعندما هممت بقراءته للمرة الثالثة دق جرس التليفون ، فتناولت السماعة كما لو كنت في حلم ، وتكلمت :

–آلو ..

– آلو

– أهذا أنت يا "**ملشيت**" ..؟

– نعم .. أين أنت . ؟ لقد وجدت الرقم . .إنه . .

– إنني أعرف الرقم.

– هل تتحدث منه؟

– نعم.

– والاعتراف؟

– لقد حصلت عليه.

– هل قبضت على القاتل؟

وهنا وجدتني في حيرة لم أقع في مثلها طول حياتي.

نظرت إلى "**هاوس**" وإلى الرسالة التي وجدتها في غرفته. وإلى علبة الأقراص، وأجبت أخيرا:

– لا أعلم. يحسن بك أن تحضر.

وذكرت له العنوان، وتهالكت على مقعد أمام "**هاوس**" لكي أفكر فيما ينبغي عمله. كان أمامي دقيقتان فقط لكي أفكر وأقرر قبل أن يحضر "**ملشيت**".

تداركت الرسالة للمرة الثالثة، وقرأتها من أولها إلى آخرها، ثم أغمضت عيني، وانصرفت إلى التفكير.

- 29 -

القاتل

لا أعلم كم من الوقت بقيت جالسا هناك. كانت بضع دقائق، ولكن خيل إليّ أنها دهر.

وفتح الباب أخيرا ودخل "**ملشيت**"، وبدت عليه دلائل الدهشة حين رأى "**هاوس**" نائما على الأريكة وهتف:

– ما معنى هذا؟

فمددت إليه يدي بالرسالة، فتناولها وقرأها ببطء وبصوت مرتفع:

عزيزي "**كليمنت**"..

أرى لزاما عليّ أن أنهي إليك نبأ مؤلما إلى أقصى حد، ولقد أردت أن أحدثك بشأنه، ثم آثرت بعد التفكير أن أبلغك به كتابة. إنه خاص بالاختلاسات التي تعرضت لها أموال الكنيسة مؤخرا، ويؤسفني أن أقول لك إنني عرفت الفاعل بصفة أكيدة لا تدع مجالا للشك.

وعلى الرغم من أنه يؤلمني أن أتهم رجلا من رجال الكنيسة.. فإن واجبي واضح وصريح ويجب أن...

وكف "**ملشيت**" عن القراءة ونظر إليّ..

كانت العبارة الأخيرة قد انتهت بخطوط متعرجة غير مفهومة كما لو كانت اليد الممسكة بالقلم قد فقدت الحركة والحياة.

وتنهد "**ملشيت**" ونظر إلى "**هاوس**" مرة أخرى وقال:

– أخيرا وضعنا أيدينا على مفتاح السر.. على الرجل الوحيد الذي لم يخطر لنا ببال. لا شك أنه اعترف بدافع الندم ووخز الضمير.

– لقد أذهلتني غرابة أطواره في الأيام الأخيرة.

وفجأة تقدم "**ملشيت**" من "**هاوس**" وراح يهزه بعنف.. وصاح:

– إنه ليس نائما. ويبدو أنه تناول مخدرا.

– ما معنى هذا؟

ووقع بصره على علبة الأقراص فقلت:

– نعم.. إنه تناول كمية كبيرة فمات. وخيرا فعل.

ولكن "**ملشيت**" كان شرطيا قبل كل شيء. فهو لا يتأثر بالاعتبارات التي أضعها في حسابي. لقد وجد قاتلا.. فيجب أن يشنق هذا القاتل.

وأسرع إلى التليفون وتناول السماعة، وراح يدق الجهاز بعنف حتى استجابت إليه العاملة فطلب رقم الدكتور "**هايدوك**". وصاح:

– آلو، آلو، الدكتور "**هايدوك**"..؟ هل يستطيع الدكتور "**هايدوك**" القدوم فورا إلى شارع "**هاي ستريت**"؟ منزل السيد "**هاوس**". إن الأمر عاجل. ماذا تقول؟ أي

رقم هذا إذن..؟ آه ! أرجو المعذرة.. ثم التفت إليّ وقال:

– الرقم غلط كما هي العادة.. على الرغم من أن الأمر يتعلق بحياة إنسان، آلو.. آلو قلت لك: إنني أريد الدكتور "**هايدوك**" .. رقم 39 لا 35.

ثم بعد سكون قصير:

– أهذا أنت يا "**هايدوك**"؟ أنا "**ملشيت**"، تعال بسرعة إلى بيت "**هاوس**"، إنه تناول كمية كبيرة من عقار مخدر.. أرجوك أن تسرع. إنها مسألة حياة أو موت.

ووضع السماعة وراح يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا، ثم قال وهو يتفرس في وجهي:

– لماذا لم تتصل بـ"**هايدوك**" فورا يا "**كليمنت**"؟ هل فقدت حضور ذهنك؟

ولم يخطر بباله أن من الممكن أن ينظر الإنسان إلى الأمور من زاوية أخرى غير زاويته.

ولم أجبه فسألني:

– أين وجدت هذه الرسالة؟

– على الأرض.. لابد أنها سقطت منه.

– من عجب أن الآنسة "**ماربل**" كانت على حق حين قالت: إن الرسالة التي وجدت في مكتبك ليست هي الرسالة التي كتبها "**بورتيرو**"؟ هذه هي رسالة "**بورتيرو**". وأصارحك فيما بيننا أن هذا الشاب كان مغفلا؛ إذ لم يتخلص من هذه الرسالة التي تدينه.. وتعد أقوى دليل ضده.

– إن الطبيعة البشرية مليئة بالمتناقضات غير المفهومة.

– لولا هذه الرسالة لاستحال علينا معرفة القاتل. ولكن المجرمين يرتكبون دائما غلطة أو حماقة ترشد إليهم.. لماذا أنت حزين يا "**كليمنت**".. هل؟ هل صدمك هذا الحادث؟

– الواقع أنني لم أتصور قط أن..

– صه.. هأنذا أسمع صوت سيارة تقف بالباب.

وأسرع إلى النافذة وأطل منها وهتف:

– ها هو ذا "**هايدوك**" قد جاء.

ودخل "**هايدوك**"، فسرد عليه "**ملشيت**" الحقائق بإيجاز.

وأسرع "**هايدوك**" إلى الشاب، وجس نبضه ونظر إلى حدقة عينه ثم تحول إلى "**ملشيت**" وقال:

– هل تصر على إنقاذ حياة هذا الفتى لتدفع به إلى المشنقة؟ إنه مريض جداً، ولست واثقا بأنه سينجو.

– ابذل قصارى جهدك.

– حسنا.

وفتح حقيبته، وحقن ذراع "**هاوس**" ثم قال:

– من الأفضل الذهاب به إلى مستشفى "**بنهام**"، فتعاونوا معي على نقله إلى السيارة.

وحملنا "**هاوس**" إلى السيارة، وقال "**هايدوك**" وهو يجلس خلف عجلة القيادة:

– هل أقول لك شيئا يا "**ملشيت**"؟ إنك لن تستطيع شنقه.

– هل تعني أنه سيموت؟

– لا أعلم.. ولكنه إذا شفي فلن يعد مسؤولا عما فعل، وسوف أشهد على ذلك.

وسألني "**ملشيت**" ونحن نصعد درج السلم:

– ماذا تعني؟

فأفهمته بأن "**هاوس**" كان مصابا بمرض النوم. وما كدت أفرغ من حديثي حتى وقعت مفاجأة مذهلة، فقد فتح باب الغرفة ودخلت الآنسة "**ماربل**" كانت محتقنة الوجه، بادية الانفعال.

قالت:

– أرجو المعذرة عن هذا الإزعاج. طاب مساؤك يا عقيد.. لقد علمت بمرض السيد "**هاوس**" ورأيت أنه من واجبي أن أعرض خدماتي.

فقال "**ملشيت**":

– شكرا لك يا آنسة "**ماربل**". ولكن كيف علمت؟

– إنك تحدثت إليّ خطأ. ظنا منك أنني الدكتور "**هايدوك**".. أنا صاحبة التليفون رقم 35.

– آه!

– وهكذا جئت. عسى أن أتمكن من عمل شيء.

– شكرا لك.. لقد ذهب به "**هايدوك**" إلى المستشفى.

– آه ! أستطيع الآن أن أتنفس الصعداء...

فقلت أحدثها.

– انظري..

وقدمت إليها الرسالة التي لم يتم "**بورتيرو**" كتابتها فتناولتها، وقرأتها، ولم يبد عليها شيء من دلائل الدهشة.

قلت لها:

– يخيل إليّ أنك كنت على صواب.

– نعم، ولكن هل تسمح لي بأن ألقي عليك سؤالا يا سيد "**كليمنت**"؟ ماذا جاء بك إلى هنا الليلة..؟ كنت أتوقع أن أجد هنا شخصا سواك أنت والعقيد.

فرويت لها قصة الحديث التليفوني، فهزت رأسها ببطء وقالت:

– لقد أرسلتكما العناية الإلهية في الوقت المناسب.

– المناسب لماذا؟

– لإنقاذ حياة "**هاوس**" بالتأكيد.

فقلت:

– ربما كان الأفضل له وللجميع بعد أن عرفنا الحقيقة ألا تنقذ حياته.

فهزت رأسها وأجابت:

– بالتأكيد. بالتأكيد ذلك ما أرادكم أن تظنوه. لقد أرادكم أن تعتقدوا بأنكم عرفتم الحقيقة. ولهذا كانت الرسالة والأقراص، وحالة "**هاوس**"، والاعتراف.. ولكن ذلك كله زيف وخداع.

فنظرت إليها في ذهول ودهشة، ولكنها مضت تقول:

– ولذلك شعرت بالارتياح حين علمت أن "**هاوس**" قد نقل إلى المستشفى.. إنه سيكون هناك بمأمن.. ومتى شفي فسوف يقول لكم الحقيقة.

– الحقيقة؟

– نعم، الحقيقة يا سيد "**كليمنت**". والحقيقة هي أنه لم يمس شعرة من رأس العقيد "**بورتيرو**".

– والمكالمة التليفونية؟ وهذه الرسالة؟ وهذه الأقراص؟ إن الأمر واضح كالشمس.

– قلت لكم: إن ذلك هو ما أرادكم أن تعتقدوه.. إنه ذكي واسع الحيلة. واحتفاظه بهذه الرسالة وطريقة استخدامه لها يدلان على ذكائه وسعة حيلته.

– من هو؟

– القاتل.

ثم استطردت قائلة في هدوء:

– القاتل.. "**لورنس ريدنج**".

- 30 -

الآنسة "ماربل".. بوليس سري

بهتنا ونظرنا إلى الآنسة "**ماربل**" كما ننظر إلى شخص فقد صوابه، وتكلم "**ملشيت**" أخيرا فقال:

– غير معقول. لقد ظهرت براءته وسقط عنه الاتهام.

– إنه فعل كل ما يستطيع لكي يصل إلى هذه النتيجة.

– على العكس. إنه فعل كل ما يستطيع لكي يُتهم بارتكاب الجريمة.

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. تلك هي الحيلة التي خدعت الجميع، وأنا منهم.. هل تذكر يا سيد "**كليمنت**" كم كانت دهشتي عندما علمت بأنه اعترف بارتكاب الجريمة؟ لقد أطاح اعترافه بكل أفكاري وتصوراتي وأقنعني ببراءته.. كنت قبل اعترافه موقنة بأنه القاتل.

– هل ارتبت فيه منذ البداية؟

– إن القاتل في القصص هو آخر شخص تتجه إليه الشبهات. ولكن هذه النظرية قلما تصح في الحياة الواقعية.. بل إن عكسها هو الأرجح. لقد كنت أحب السيدة "**بورتيرو**".. فلم أتمالك من الاعتقاد بأنها قد وقعت تحت سيطرة "**لورنس**" تماما،

وأنها على استعداد لأن تفعل كل ما يطلبه منها. وطبيعي أنه ليس الرجل الذي يفر مع امرأة لا تملك شروى نقير. كان من الضروري بالنسبة إليه أن يموت "**بورتيرو**"؛ ولذلك قتله. إنه من أولئك الأوغاد الظرفاء الذين لا خلاق لهم ولا ضمير.

فقال "**ملشيت**":

– ولكننا نعرف كيف قضى "**لورنس**" وقته حتى الساعة السادسة و45 دقيقة.. فهل كذب "**هايدوك**" حين أكد أن الجريمة لا يمكن أن تكون قد وقعت بعد الساعة السادسة والنصف؟

– كلا. إن "**هايدوك**" لم يكذب، وكل ما قاله صحيح. ولكن "**لورنس ريدنج**" ليس هو الذي أطلق الرصاص. إنما التي أطلقته هي السيدة "**بورتيرو**".

فزادت دهشتنا ومضت الآنسة "**ماربل**" تقول:

– إنني لم أتكلم قبل الآن لأنني أعرف أن الكلام بغير دليل لا قيمة له، وقد وجدت هذا الدليل حين وقع بصري على آنية زهر في شرفة السيد "**كليمنت**"... كانت هذه الآنية هي مفتاح السر كله.

فنظر إليّ "**ملشيت**" كمن يريد أن يقول: «هذه المرأة قد جنت».

واستطردت الآنسة "**ماربل**" تقول بصوتها الهادئ المهذب:

– لقد شق عليّ في البداية أن أصدق ما ذهبت إليه ظنوني.. لأنني كنت أحبها. وعندما اعترف هو أولا، ثم اعترفت هي ثانيا تنفست الصعداء. وشرعت أضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين يتمنون موت العقيد.

فقلت:

– الأشخاص السبعة؟

فنظرت إليّ وابتسمت وقالت:

– نعم. الأشخاص السبعة.. كان أولهم "**آرثر**"... الذي هدد "**بورتيرو**" على ملأ من الناس، ثم خادمتك "**ماري**"، صديقة "**آرثر**" منذ وقت طويل، وكان في استطاعتها أن تقتل العقيد بمسدس "**لورنس**"؛ لأن والدة "**آرثر**" تعمل في خدمة "**لورنس**"... وكانت هناك "**ليتيسيا**".. التي تنشد الحرية والمال لتلهو كما تشاء. وكان هناك

"**هاوس**" أو أنت أيها القس. أعني واحدا منكما.

– أنا؟

– نعم أنت. ومعذرة فإنني لم أرتب بك لحظة واحدة، ولكن كانت هناك المبالغ المختلسة من أموال الكنيسة، والتي لا يمكن أن يختلسها سوى أحد اثنين. أنت أو "**هاوس**". وقد أشاعت السيدة "**برايس ريدلي**" في كل مكان أنك أنت المختلس.. وكان دليلها اعتراضك بشدة على إجراء تحقيق. ثم كانت هناك العزيزة "**جريزلدا**"..

فصاح "**ملشيت**":

– ليست هناك أية شبهة حول السيدة "**كليمنت**"، فإنها عادت من "**لندن**" بقطار الساعة السادسة و55 دقيقة.

– ذلك ما قالته هي. ولكن الواقع أن قطار الساعة السادسة و55 دقيقة وصل متأخرا نصف ساعة.. أي في الساعة السابعة و25 دقيقة..

وقد رأيت "**جريزلدا**" بعيني رأسي في الساعة السابعة و15 دقيقة وهي في طريقها إلى قصر "**بورتيرو**". ذلك أنها قد عادت بقطار سابق؛ لأنها شوهدت في مكان ما في الساعة السادسة. أظنك تعرف كل هذه الحقائق يا سيد "**كليمنت**".

ورمقتني بنظرة لم أجد معها بدا من أن أقدم إليها الخطاب الذي وجدته في صندوق البريد عقب انصرافها من مكتبي تلك الليلة.. وكان الخطاب من مجهول يقول فيه: إن زوجتي شوهدت في يوم الجريمة وهي تخرج خفية من الباب الخلفي لكوخ "**لورنس ريدنج**" في الساعة السادسة والدقيقة 20.

إنني لم أتحدث قط في ذلك اليوم أو بعده عن آلامي والشكوك التي ساورتني حين قرأت هذا الخطاب، فقد تطرق إلى ذهني أن زوجتي ربما كانت على علاقة بـ"**لورنس**"، وأن "**بورتيرو**" علم بأمر هذه العلاقة وأراد أن يصارحني بها يوم أن جاء لزيارتي.. ومن المحتمل أن تكون زوجتي قد أدركت ذلك بطريقة ما، فأخذت مسدس "**لورنس**"، وقتلت به "**بورتيرو**".

ليست هذه كلها سوى شكوك، أثارها ذلك الخطاب وقد عانيت بسببها آلاما لا تطاق.

قالت الآنسة "**ماربل**" وهي تعيد إليّ الخطاب:

– هذا نبأ يتهامس به الناس في القرية، ولكن لا أهمية له. سأعود الآن إلى الموضوع الرئيسي.. وأعني به موضوع الجريمة.

لقد ذهبت السيدة "**بورتيرو**" وزوجها إلى القرية، وغاب عن الناس ملاحظة أمر عجيب.. هو أن السيدة "**بورتيرو**" لم تكن تحمل حقيبة. فإنه من غير الطبيعي أن تخرج إحدى السيدات بلا حقيبة.

وقبل الساعة السادسة بقليل، مرت السيدة "**بورتيرو**" أمام حديقتي، ووقفت لتتحدث إليّ. كان يهمها أن ألاحظ أنها لا تحمل سلاحا وأنها في حالة طبيعية.

وقصدت السيدة "**بورتيرو**" إلى شرفة غرفة المكتب، وكان زوجها في تلك اللحظة يكتب إليك يا سيد "**كليمنت**" هذه الرسالة التي وجدتها الليلة في غرفة "**هاوس**".. فمدت السيدة "**بورتيرو**" يدها إلى آنية الزهور وتناولت المسدس الذي كانت تعلم أن "**لورنس**"خبأه هناك.. وتسللت إلى داخل قاعة المكتب حتى وقفت وراء زوجها الأصم وأطلقت الرصاص على رأسه. ثم ألقت بالمسدس على الأرض ولاذت بالفرار إلى الحظيرة.

فقال "**ملشيت**" معترضا:

– وصوت الطلق الناري..؟ إنك لم تسمعيه.

– ألا يوجد جهاز لكتم الصوت؟ والآن سأتم حديثي، لقد لحق "**لورنس**" بالسيدة "**بورتيرو**" في الحظيرة. وكانا يعلمان أنني قد رأيتهما يدخلان. فإنني بحكم الطبيعة البشرية لابد أن أنتظر حتى أراهما يخرجان.. فخرجا وهما يتظاهران بالسعادة والمرح.. وتلك غلطة جسيمة، فإن شخصين اتفقا على الفراق وودع كل منهما الآخر بعد أن تقابلا لآخر مرة لا يمكن أن يشعرا بالسعادة والمرح. وفي الوقت نفسه، لم يكن بوسعهما أن يبدوا قلقين مهمومين، حتى لا يؤخذ ذلك قرينة ضدهما عند التحقيق في مصرع العقيد.

المهم أن "**لورنس**" عاد إلى بيت القس بعد ذلك، ودخل قاعة المكتب ولم يغادرها إلا في آخر لحظة، ولابد أنه ظل طول الوقت يرقب عودتك من خلال باب الشرفة.

وبذلك تسنى له العمل بهدوء وطمأنينة، فاسترد المسدس والجهاز الكاتم للصوت. وعندما وضع الرسالة المزيفة، وقع بصره على الرسالة التي قُتل "**بورتيرو**" وهو يكتبها، فقرأها وأدرك بذكائه احتمالات الإفادة منها فوضعها في جيبه ثم عبث بعقربي الساعة وجعلهما في وضع يتفق مع الوقت المذكور في الرسالة. وكان الغرض من ذلك هو إثارة الشكوك حول السيدة "**بورتيرو**". وعندما رأى القس مقبلا، اندفع إلى الخارج متظاهرا بالانفعال والجنون، والتقى بالقس عند الباب. وكان تظاهره هذا عملا في منتهى الذكاء. فإن أول ما يعنى به القاتل عادة بعد ارتكاب جريمته، هو أن يبدو هادئا وطبيعيا.. وقد قال "**لورنس**" عكس ذلك تماما. وبعد أن تخلص من الجهاز الكاتم للصوت... ذهب بمسدسه إلى مركز الشرطة، وقدم نفسه واعترف بارتكاب الجريمة. وانخدع الجميع.

– والطلق الناري الذي قرر ثلاثة أشخاص أنهم سمعوه.. هل كان مصادفة؟

فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها بشدة وقالت:

– كلا. لم يكن مصادفة. بل كان لابد أن يسمع في ذلك الوقت بالذات، وإلا ظلت الشبهات تحوم حول السيدة "**بورتيرو**".

ولكن كيف دبر "**لورنس**" ذلك؟ الواقع أنني لا أعلم بصفة مؤكدة. ولكني أعتقد أن حمض "البكريك" يمكن أن ينفجر بواسطة حجر كبير في البقعة نفسها التي عثرت فيها بعد ذلك على بلورات "البكريك". إن من الممكن تدلية الحجر من جذع شجرة فوق المكان الذي توجد به بلورات "البكريك".. وإيصال الحبل الذي يتدلى منه الحجر بفتيل يستغرق اشتعاله فترة من الوقت محسوبة بدقة فإذا وصلت النار إلى الحبل وأحرقته، سقط على بلورات البكريك، ففجرها.

وقد دبر "**لورنس**" الأمر حيث حدث الانفجار في الساعة السادسة والنصف تماما.. أي حين كان هو والسيدة "**بورتيرو**" يخرجان من الحظيرة على مرأى من جميع الناس.

إنها خطة محكمة لا تترك وراءها أثرا سوى الحجر، ولقد رأيته بنفسك يا سيد "**كليمنت**" وهو ينقل الحجر من مكان الانفجار، وكان ظهورك أمامه مفاجأة له،

ولكنه تخلص من المأزق بلباقة وبراعة، فزعم أن الحجر لحديقتي اليابانية، وغاب عنه أن هذا النوع من الأحجار لا يصلح للحدائق اليابانية.

فقال "**ملشيت**":

– كل هذا معقول يا آنسة "**ماربل**".. ولكن بماذا تفسرين مكالمة "**هاوس**" التليفونية ورغبته في الاعتراف؟

– أظن أن الموعظة التي ألقاها السيد "**كليمنت**" لعبت دورا في هذا الصدد.. هل تعلم يا سيد "**كليمنت**" أنها كانت موعظة رائعة؟ لابد أنها تركت في نفس "**هاوس**" أثرا عميقا، فناء تحت ثقل الندم ووخز الضمير. وقرر الاعتراف باختلاس أموال الكنيسة...

وشاءت إرادة الله أن يكون هذا القرار سببا في إنقاذ حياته.. لأنني أرجو أن يتمكن الأطباء من إنقاذ حياته. ويخيل إليّ أن "**لورنس**" قرأ رسالة "**بورتيرو**" جيدا، وفهم منها أن "**هاوس**" هو المقصود، فجاء لزيارته، واستبدل بالأقراص التي يتناولها "**هاوس**" للعلاج أقراصا سامة أو مخدرة، ثم دس رسالة "**بورتيرو**" في جيبه.. حتى إذا مات، ووجدت الرسالة، ظن الجميع أنه هو الذي قتل "**بورتيرو**".. وأنه مات منتحرا. ولابد أن يكون "**هاوس**" قد شعر بتأثير السم بالإضافة إلى تأثير الموعظة، فخشي أن يموت قبل أن يعترف وينال الغفران.. وكان أن اتصل تليفونيا بالسيد "**كليمنت**".

– وما قولك في المكالمة التليفونية التي تلقتها السيدة "**برايس ريدلي**" والتي ثبت صدورها من كوخ "**لورنس ريدنج**"؟

– إن مدبرة هذه المكالمة هي العزيزة "**جريزلدا**"، وربما بالاشتراك مع "**دنيس**"، ولا شك في أنهما علما بالشائعات التي أطلقتها السيدة "**برايس ريدلي**" ضد القس، فقررا أن يلقناها درسا. وربما وقع الاختيار على تليفون "**لورنس**"؛ لأنهما يعلمان أنه لا يغلق باب كوخه.

فقال "**ملشيت**":

– أعترف بأن تحليلك للأحداث منطقي، ومعقول يا آنسة "**ماربل**". ولكني ألاحظ أنك لم تقدمي دليلا واحدا.

– هذا صحيح مع الأسف. ولكنك اقتنعت بوجهة نظري. أليس كذلك؟

– بلى. ولكن الاقتناع لا يغني عن الأدلة.

– لقد خطر لي.

– ماذا؟

– خطر لي أننا نستطيع أن نعد فخا.

- 31 -

الفخ

هتف "**ملشيت**" قائلا:

– فخ؟ أي نوع من الفخاخ؟

فظهر التردد على وجه الآنسة "**ماربل**"، ولكن كان واضحا أن لديها فكرة. قالت:

– من الممكن مثلا الاتصال به تليفونيا وتحذيره.. ومراقبة رد الفعل.

فلم يتمالك "**ملشيت**" عن الابتسام، وقال:

– نعم كان يقول له بعضهم (اهرب.. فقد عُرفت الحقيقة). ولكن هذه خدعة مألوفة يا آنسة "**ماربل**".. ولا أحسب أنها تجوز على مجرم ذكي مثل "**لورنس**".

– لنبحث إذن عن خدعة أخرى.. هب أن شخصا معروفا بالصدق والأمانة كالدكتور "**هايدوك**" مثلا.. اتصل به تليفونيا وقال له إن السيدة "**سادلر**"، صاحبة البيت الذي يقيم فيه "**هاوس**"، أو أحد أولادها، قد رآه وهو يستبدل بأقراص الدواء الأقراص السامة.. إذا حدث ذلك وكان "**لورنس**" بريئا فإنه لن يعبأ بالنبأ.

– وإذا كان مذنبا..؟

– إذا كان مذنبا فمن المحتمل أن يقدم على حماقة ما تؤيد الاتهام.

– هذه فكرة حسنة يا آنسة "**ماربل**" ولكن هل يوافق الدكتور "**هايدوك**" على الاشتراك في تنفيذها؟ إذ إنك قلت: إنه إنسان صادق وأمين.

فقلت:

– لماذا لا نحاول؟

وحاولنا. وكانت النتيجة مذهلة، إذ صاح "**هايدوك**" في غضب:

– ويل للمجرم الأثيم.. إنني لا أغفر له أنه كاد يودي بحياة شاب مسكين يعول أما وأختا.. تصوروا العار الذي سيحل بهاتين التعستين متى ذاع أن عائلهما ارتكب جريمة قتل وانتحر..!! إن هذا المجرم ليس جديرا بالحياة.

ونجحت الخدعة على نحو غير متوقع. فلم يكد "**لورنس**" يتلقى مكالمة "**هايدوك**" ويعلم أن أمره قد افتضح حتى فكر في الفرار، ولكنه تذكر أن له شريكة ينبغي تحذيرها، فاتصل بالسيدة "**بورتيرو**" تليفونيا وطلب إليها انتظاره عند الحفائر لأمر مهم.

ولم يفطن إلى أن تليفونه ومحادثاته كانت تحت مراقبة البوليس، ولم يشعر بالشرطيين السريين اللذين تعقباه وسجلا ما دار بينه وبين شريكته من حديث.

ولست بحاجة إلى سرد تفاصيل محاكمة "**لورنس**" وشريكته. فالقضية لاتزال ماثلة في الأذهان.

بقي أن أقول إن "**ليتيسيا**" زارتني في مكتبي في الأيام الأولى للقضية، وصارحتني بأنها كانت واثقة منذ البداية باشتراك "**آن**" في الجريمة.. وأن القبعة الصفراء التي زعمت فقدها لم تكن إلا ذريعة للبحث عن أدلة أو آثار ربما تكون قد غابت عن رجال البوليس، وأنها عندما أعيتها الحيلة عمدت إلى وضع القرط في مكتبي للإيقاع بزوجة أبيها.. وبررت ذلك بقولها: «إن الغاية تبرر الوسيلة».

– وماذا في نيتك أن تفعلي الآن؟

فأجابت:

– عندما ينتهي كل شيء.. سأذهب إلى الخارج.

ثم أردفت بعد تردد قصير:

– مع أمي.

فألجمتني الدهشة.. ونظرت إليها متسائلا فقالت:

– ألم تدرك أن السيدة "**لترانج**" هي أمي؟ إنها مريضة بالسرطان. ولا أمل في شفائها. وقد أرادت أن تراني قبل موتها؛ ولذلك جاءت إلى هذه القرية..

وبذل الدكتور "**هايدوك**" قصارى جهده لمساعدتها؛ لأنهما كانا صديقين، ولأنه كان يحبها قبل أن تتزوج من أبي بل أعتقد أنه لايزال يحبها. وعندما ذهبت أمي لزيارة أبي، كان غرضها من الزيارة أن ترجوه في أن يسمح لها برؤيتي.. ولكنه رفض وكان فظًّا، غليظ القلب. ولم تجد أمي بدا من الكتابة إليّ، وحددت لي موعدا. وكان لقاؤنا الأول بين الحقول في الساعة السادسة والربع من مساء يوم الخميس.. اليوم الذي حدثت فيه الجريمة، وقد أشفقت فيما بعد أن تحوم الشبهات حول أمي؛ ولذلك عمدت إلى تمزيق صورة كانت لها في القصر.. خوفا من أن يجد رجال البوليس الصورة إذا قاموا بالتفتيش.. فتنكشف لهم حقيقة السيدة "**لترانج**"، وتزداد شكوكهم في أمرها. وقد كان الدكتور "**هايدوك**" يعاني مثل مخاوفي.. بل لعله يعتقد أن أمي هي التي ارتكبت الجريمة. فهو يعرف عنها الصلابة والعناد، وأنها إذا صممت على أمر فعلته دون النظر إلى العواقب. إن صلتي بأمي على قصرها، أقوى من الصلة التي كانت بيني وبين أبي، وقد قررت أن أرحل معها إلى الخارج.. وأن ألازمها حتى يقضي الله في أمرها.

قالت ذلك ونهضت، فقلت وأنا أشد على يدها:

– أسأل الله أن يرعاك يا بنيتي.. وأن يهيئ لك السعادة التي أنت جديرة بها.

فمرت على شفتيها ابتسامة حزينة وقالت:

– أرجو ذلك.. فإنني لم أعرف حتى الآن طعم السعادة.

بقيت كلمة أخيرة.

فقد عاد الدكتور "**ستون**" المزعوم إلى القرية لاسترداد التحف التي سرقها من قصر "**بورتيرو**"، فأُلقي القبض عليه، وثبت أنه محتال ولص خطير.

أما الآنسة "**كرام**" فقد اعترفت بإخفاء الحقيبة في الغابة، وقالت إنها فعلت ذلك بحسن نية فلم تكن تعرف شيئا عن حقيقة "**ستون**"، فأُطلق سراحها، وآخر ما سمعته عنها أنها تبحث عن شاب ثري تعمل سكرتيرة له.

تمّت بعون الله